معهد الشيخ الحاج مالك سي للدراسات الإسلامية والبحوث العلمية بتواوون

ALFATHI

مجلة

الفاتح

لما أغلق

مجلة علمية دينية دورية
تصدرها هيئة البحوث العلمية بمعهد
الشيخ الحاج مالك للدراسات الإسلامية والبحوث العلمية

شخصية العدد:

تواوون لها محل من الإعراب

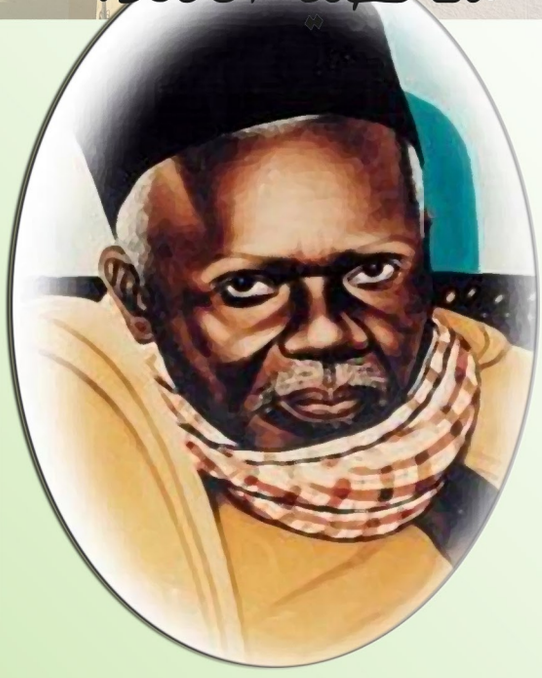

عزيز قومة عبد العزيز

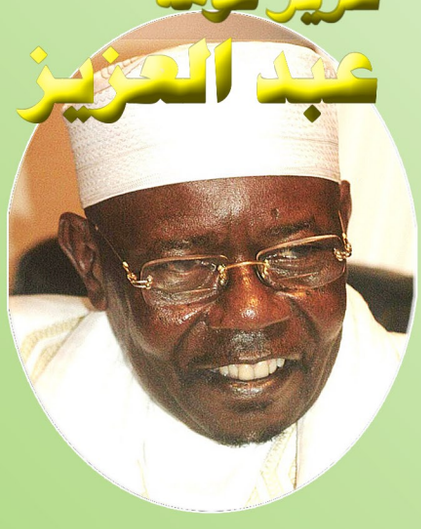

أكرم بأحمد في نظام المولد

الشيخ مود مالك عبد العزيز سي:
"الزعامة الصوفية، أرست مبادئ السلم والاستقرار والتعايش السلمي الدائم في السنغال"

العلم والعمل لتحقيق الأمل

قصيدة:

لله درّهم في البرّ والكرم

كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله

هذه مجلة « الفاتح» تعود، إليكم، وقد نايف غيابها سنة كاملة، وكان الأمل يحدو بفريق تحريرها، أن لا يطول عهدكم بظهورها، فمنذ أن وضعنا بين أيدي ضيوفنا وقرائنا الكرام، العدد الأول منها، توالت البرقيات والرسائل والمكالمات التي تدعو وتلح على ضرورة استمرار هذه التجربة الثقافية الفتية الناجحة، وقد حبذ الجميع أن ينتظم أوان صدورها، وأن تحتل هذه المجلة مكانتها ضمن الأعمال الثقافية والعلمية، التي تحيي نشاطات وإنتاجات الكتاب والأدباء المرموقين من أهل الحضرة المالكية، وغيرهم من الأدباء.

غير أن الرياح جرت بما لم تشتهه السفن، فتحجبت مجلتهم عن الصدور، نظرا لأسباب فنية، وأخرى خارجة عن إرادتنا، وها نحن نعاود الكرة، هذه المرة، ونشرع وإياكم مسيرة جديدة من أجل إحياء الدور الثقافي الرائد، الذي ما فتئت المدرسة الفكرية التواوونية تلعبها في الساحة الثقافية الإسلامية السنغالية.

وإذا كنا في العدد الأول من مجلتكم، تناولنا في مقالاتها نبذة عن رائد النهضة العلمية في تواوون، وباني مجدها العلمي والثقافي، ومربي أساتذتها وأدبائها، الشيخ الحاج مالك سي بن عثمان، وأسهبنا في حينها القول عن هذا العمود الفكري السنغالي الفذ.

فمن الجدير والمستساغ عقلا وعرفا، في هذا العدد الثاني، أن نتناول بالحديث سيرة وتاريخ خليفته الأكبر، مولانا الشيخ أبي بكر سي، (رضي الله تعالى عنه)، وما الحديث عنه بالأمر اليسير، لكن، عندما يكون المتحدث عنه فرعه المتجذر في أصوله، والعليم المتبحر في سره، الأمين عبد العزيز فقد كفينا مئونة التقصير في التناول، وقد أخذ القوس باريها، وجزى الله شيخنا عبد العزيز خيرا، فلقد أعطى الموضوع حقه، فأبدع وأحسن، وسوف يكتشف قارئ هذه المقالة جوانب هامة من هذه الشخصية التاريخية، بأبعادها المختلفة،

وبالإضافة إلى تلك المقالة، يزخر هذا العدد بسلسلة غنية من المقالات، تتناول موضوعات عن التصوف الإسلامي الصحيح، وربانية الأهداف التي تسعى لتحقيقه، وذلك حرصا منا على تصحيح المفاهيم الخاطئة لدى البعض عن التصوف ودوره الكبير في التربية وإصلاح الفرد والمجتمع.

هذا وقد سعينا قدر الطاقة أن تكون المقالات المنشورة في هذا العدد أن تكون معبرة، بل ومتشبعة بروح الأصالة والمعاصرة، علّها بهذه المواصفات تقوم بدور حسَّان الحضرة المالكية أحسن قيام ، لتمثل علاوة على ذلك جسراً ، يربط ماضينا الأصيل الغني بالدروس والعبر، بالواقع المعاش ربطاً محكماً، بناءً لمستقبل مشرق بالتقدم العلمي والفكري ، المحفوف بالاستقرار والرفاهية والازدهار .

وعلى الله قصد السبيل ، فنسأله التوفيق والتيسير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

CHER LECTEURS

Nous nous excusons de ne pouvoir traduire les textes en français pour ce premier deuxième, compte tenu du temps court dont nous disposons, Mais nous veillerons la prochaine fois de faire toute les traductions nécessaires. (Le Rédacteur en chef)

مجلة الفاتح

مجلة علمية دينية
يصدرها معهد الشيخ الحاج مالك سي للدراسات الإسلامية والبحوث العلمية بتواوون .
السنة الثانية ـ العدد 02

المشرف العام :
الشيخ عبد العزيز سي الأمين

نائب المشرف العام :
الشيخ أبو بكر سي عبد العزيز الدباغ

رئيس التحرير :
خليفة لو
khalifalo1@live.com

مدير التحرير :
مصطفى سي المدير

سكرتير التحرير :
عبد العزيز باه
elhadjiabdouba@yahoo.fr

هيئة التحرير :
الدكتور بشير انغوم ـــ الحاج مالك فال ـــ عبد العزيز صار ـــ امبي درامي ـــ عبد العزيز كيبي ـــ شيخ تجان فال ـــ أستاذ بامر انجاي ـــ بابا مختار كيبي -السيد أحمد سي عبد العزيز سي - الحاج مالك محمد المنصور سي - محمد الحبيب سي سرين عبد - السيد مور نيانغ

المخرج الفني:
أبو سير اندو
776543837

المراسلات:
أو khalifalo129@gmail.com
B . P : 8 TIVAOUANE
TEL: (+221)339552655 /
(+221)339552020
(+221)775767594

المقر الرئيسي:
معهد الشيخ الحاج مالك سي للدراسات الإسلامية والبحوث العلمية، حي «بام» شمال المدرسة الثانوية الحكومية في تواوون.

شخصية السيد/ أبي بكر سي (رض)

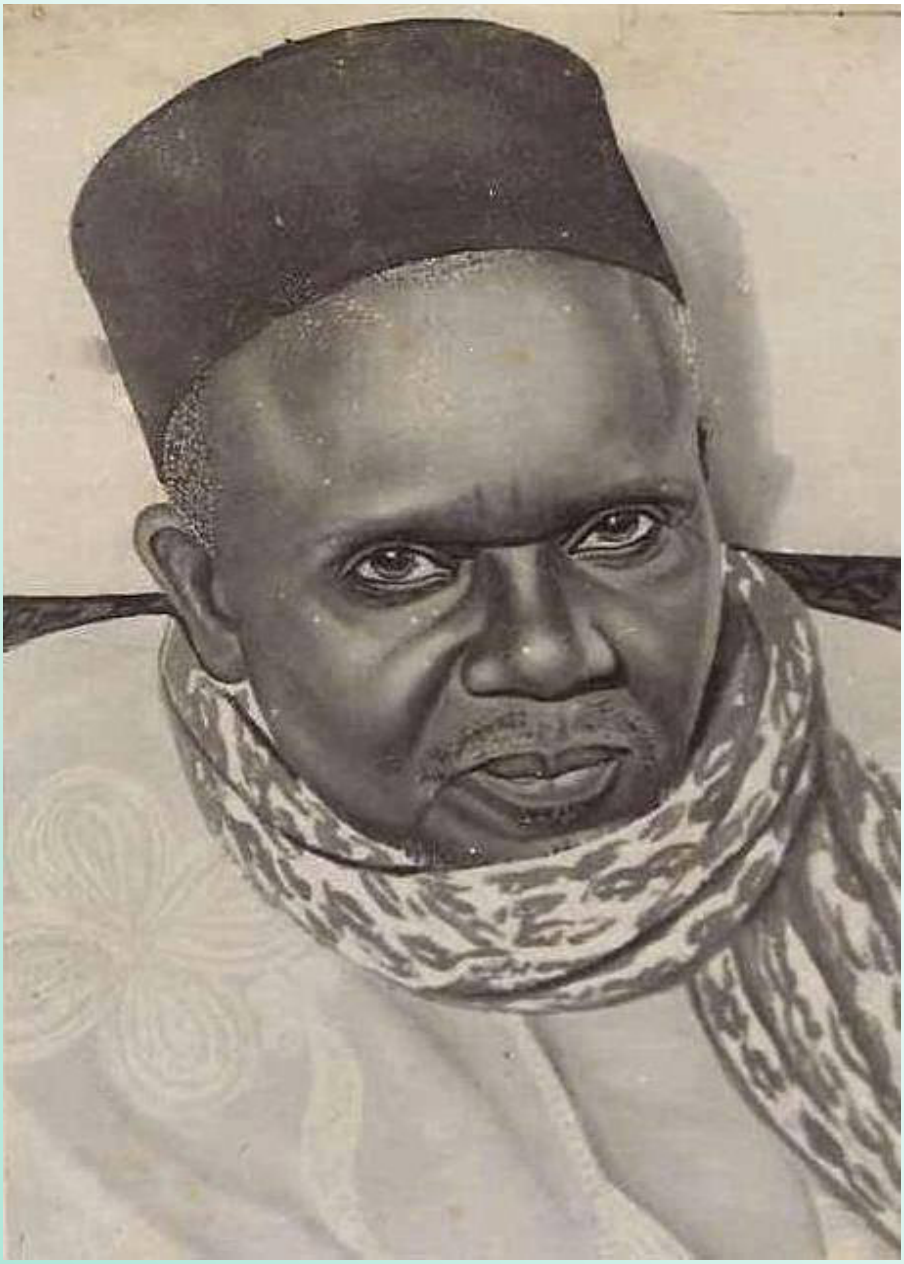

وصلَّى الله على سيّد الوجود وعلَم الشهود سيّدنا ومولانا مَحمَّد صفيّ الله ورسولِه إلَى كافة الناس رحمةً للعالمين وعلى آله وعِتْرَتِه الطَاهرة، وأصحابه أجمعين، ومن اقتفى بأثارهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدين .

في هذه الجلسة السعيدة، نحاول جَهْدَ طاقتنا المحدودة أن نحاضر لكم حَوْلَ شخصيةٍ من أعظم الشخصيَّات الإسلاميَّة، وزعيم روحيّ من أبرز زعماء التصوُّف الإسلاميّ؛ هوَ: الشيخ الخليفة أبوبكرسي [1885- 1957م] رضي الله عنه ونفعنا ببركاته، آمين .

وذلك تحت عنوان : « مفهوم « الهداية المشيخية « فنتوكل على الله ونستعين به، ونستلْهِمُه كلَّ التوفيق

مولده ونشأته :

ولد السيّد أبوبكر سي سنة 1885 ميلادية بمدينة (سَانت ـ لويس) « انْدَرْ « عاصمة العِلم والثقافةِ، والمركز الإداريّ للحكومة السنغاليَّة في عهد الاحتلال الاستعماريّ الفرنسيّ. وينحدر من سلالةِ التِّكْرورِ الفُلانِيَّةِ أو البولاريَّة، من ناحيةِ أبيه، وتنتسب أمُّه إلى أسرةٍ انْدَريَّةٍ عميقةٍ .

تعليمه وتكوينه :

عَهِد به والده الشيخ الحاج مالك سي وهوصَبيٌّ ـ في نعومة أظفاره ـ إلى أخيه الصغير وتلميذِه الأوَّل: الشيخ مُورْ خُجَّهْ سي، عَمّ الولد النجيب في قريَةِ «كَرْ يُورُو ساجُو[1]»؛ لِيُعلِّمَه القرآن الكريم ويُحَفِّظه؛ فمَكث عنده حتى حفظ القرآن كلَّه في صدره ، وجوَّد قراءَتَه واحْسَنَ كتابتَه .

كان معلِّمُه معجبا بذكائه، ورفاهة عقله، وفصاحة لسانه، وطلاقته، وجمال صوته الرخيم، وتفوُّقه في الدرس والحفظ؛ يرسخ في صدره كلّ ما يتعلّمه، ويحفظه كالنقش في الحجَر .

عاد به عمُّه ومعلِّمه إلى والده الكريم في تواوون وهو في مقتبل شبابه يتطلع إلى كلّ شيء من العلم، والحكمة، والمعرفة الإلهيَّة، ...فتعلّم على يد والده، حتى أصبح متضلِّعاً بعلوم الشريعة، من تفسير، وحديث، وفقه، وأصول، وسيرة نبويَّة، ...كما تبحَّر في علوم اللغة العربيَّة من نحو، وصرف، وأدب، وبيان، وعروض، ومنطق، ... ثم لقنه الوالد الوِرد التجانيّ، وأطلعه على أسرار الطريقة، وحقيقتها الربانية، وسلّم إليه زمام القيادة للمدرسة العلميَّة التي أسَّسها على الرغم من حداثة سنِّه؛ غير أنَّ كفاءته ومقدرته العقليَّة، وشجاعته الأدبيَّة، وسعة أفقه، وطول باعه في العلم والمعرفة، وفهمه العميق لروح الشريعة المحمَّديَّة، واطِّلاعه على أسرار حقيقة الطريقة التجَّانية، ودرايته التَّامة في إدارة الشئون؛ كانت تؤهِّله بتقلُّد هذا المنصب الجليل، والاضطلاع بالمسئوليَّة الجسيمة.

وكان الوالد قد أعدَّه إعدادا كاملا، وجعله مبعوثه الخاصَّ؛ يقوم بجولات دينيَّة في مختلف الأقطار والقرى والمدن ؛ لتنسيق أعمال الطريقة التجَّانيَّة، غيرأنَّ الوالدَ تفرَّس في ولده وخليفته من بعده ملامحَ النَّجابة، والزّعامة، فاستبعده عن حظيرته ضاربا له المثَل: «الثَّوران الثائران لا يبيتان في مَربَطٍ واحدٍ"

ففهم السيّد أبوبكر، فقال:

١ قرية قريبة من تواوون

ـ أُأسافر إلى مدينة اندَرْ ؟
ـ قال الوالدُ : إنَّها بعيدة.
ـ قال: إلى مدينة لوغا ؟
ـ قال : إنَّ فيها شخصيَّة كبيرة .
ـ قال : أأرحَلُ إلى دكار ؟
ـ قال : لم أستكمل فيها عملي بعد .
ـ قال : أتوجَّه إلى ريفِيسْك؟
فوافقه الوالد فأقام في مدينة « ريفيسك «يمارس خلواته الرَّبَّانيَّة، ويزاول رياضاته الروحيَّة إلى أنْ تمَّ له ذلك. فقدم إلى تواوون ، ثمَّ أرسله الشيخ السيّد الحاج مالك إلى مدينة اندر؛ كي يُشْرِفَ على أعمال بناء الزاوية التجَّانيَّة هناكَ ؛ بينما يتفرَّغ الوالد مالك لتكملة بعض مؤلَّفاته القيّمة .

ولمَّا تسلّم مفاتيح الزاوية رجع السيّد أبوبك رسي إلى تواوون، وقد ألْفى الشيخ الحاج مالكا قد أكمل ما كان يشتغل به من التأليف، ولكنَّه لم يعش بجانبه سوى مدَّة وجيزة، ففاضت روحه الطاهرة إلى الملإ الأعلى سنة 1922م .

وكان السيّد أبوبك رسي قد علَّمه عالم الغيب والشهَادة بأنَّه باشر السلطة الروحية للطريقة الأحمديّة التجَّانيَّة بسبع سنوات قبل ولادة والده المرحوم، كما كان يفهم ذلك أيضا بالإشارات الصادرة من الشيخ الحاج مالك ، رضي الله عنه .

خلافة السيِّد أبي بكر سي [١٩٢٢م ـ ١٩٥٧م]

لم تسلم خلافته من بعد والده من المعارضة والطعن من قِبل بعض المقدَّمين: ضعافَ العقول، والعقيدة الذين أعمى الطمعُ والحقدُ والحسدُ بصائرَهم وأفئدتهم، واحتجبتها عن رؤية الحقّ والصولب ، وظنوا مخطئين أنَّهم أحقُّ وأولى وأجدر بالخلافةِ من ابن شيخهم ومربّيهم السيّد أبي بكر سي ...

وتَفاقم الخَطب وعظُم الخطأ أو الغلطُ؛ حتى بلغ بأحدهم أن يتجرَّأ على التلفُّظ بالقول المنكر :

ـ « ما من أحد يجلس على عرش الخلافة وأنا واقف» .

فردَّ عليه السيّد أبوبك رسي بقوله:

ـ «فلنفرضَ أن العرش اثنان: عرش اشتريتُه، فكان ملك بيميني ، ولا أظنُّ أن نفسك الطمَّاعة تُحدّثك لحظةً بالجلوس عليه، وعرشُ الحكمةَ الربَّانيَّة الذي لم ولن تقع عليه عينك، وهو لا يغيب عن بصري طرفة عين ...”

وقد سوَّلت لهؤلاء الطامعين النفسُ الأمَّارة بالسوء أن يقوموا بصياغة حجج واهية لتبرير ادّعاءاتهم وطموحهم الأعمى في عرش الخلَافة ، وهي :

ـ أنَّ السيّد أبابكر سي صغير السنِّ في السابع والثَلاثين من عمره .

ـ أنَّ الإسلام والطريقة ملك لله، وهو وحده الذي يملك حقَّ تعيين خليفته في الأرض، وليس لأيّ شخص سلطة عليا في تعيين هذا الخليفَة .

ـ أنَّ الخلفاء الراشدين : أبابكر، وعمر ، وعثمان، رضوان الله عليهم لا يَمُتُّون بصلة الدم إلى محمَّد عليه الصلاة والسلام.

ـ أنَّ المقدَّمين الذين تولَّوا الخلافةَ من بعد الشيخ السيّد أحمد التجَّانيّ؛ المؤسِّس الأعظم للطريقة، وهم: محمَّد الحافظ، مجمَّد الغالي، السيّد عليّ التماسيني ، ومحمَّد بن العربيّ، لا تربطهم صلة الرحم بالشيخ أحمد التجَّانيّ الشريف .

ـ أنَّ الخلافة بعد المجاهد الأكبر: الشيخ الحاج عمر الفوتي، كانت في أيدي مقدميه: ألفاهم مَيُر ويلي، والشيخ السيّد الحاج مالك سي رضي الله عنه.

وبناء على هذا ، فلا يكون لأيّ من أولاد السيّد الحاج مالك حقٌّ أو امتيازٌ في الخلافةِ الّتي يرجع أمرُ التعيين فيها إلى اختصاص الله العلي الأعلى .

لكن حججهم الداحضة ضعُفت وانهارت وتلاشت، ورُدَّ كيدهم إلى نُحورِهم أمام وابل من سيل رسائل التأييد، والقصائد التي ظلَّت تنهمر من داخل وخارج السنغال تأكيداً لخلافة أبي بكر سي .

ومنها، مثلاً، رسالة التأييد والتوكيد القويَّة الطويلة، التي وردت من أبرز الشخصيات في الطريقة الأحمديَّة التجانيَّة بالمغرب العربيّ، وخديم الحضرة الأحمديَّة التجانيَّة، الشيخ أحمد السكيرج، وجَّهها عام 1923م ـ 1342هـ إلى سائر الأحباب والإخوان القاطنين بالقطر السنغاليّ، وبالأخصّ: تلامذة المرحوم المقدَّم المقدَّسَ روحه، الحاج مالك سي رضي الله عنه وبارك في أولاده وأحبابه وسائر مَن هو منه ، وإليه .

ننقل لكم منها ما يلي :

((... فإنَّ في قلبي شُغْلاً شاغلاً منذ توفِّي السيّد الحاجُّ مالك الذي أحيا به الله معالمَ الدين بقطركم السعيد ، وفاز على يده كلّ مريد ، وتلميذ سعيد ، ولا زلت متشوّقاً لمن يقوم مقامه ، ويخلفه في مكانهَ ، ومكانته ، مِن أحبابه المخصوصين بالكرامة؛ أنَّه قد تخرَّج على يده جماعة

من المفتوح عليهم في هذه الطريقة ممَّن أعرفه و ممَّن لا أعرفه حيًّا أو ميّتاً ، وكلُّهم مستحقٌّ لأنْ يكون خليفته من بعده حتى انشرح صدري لإخباركم بأنَّ ولده من صلبه، وقلبه هو الخليفةُ من بعده، وهو قرة عينه ، أبوبك رسي ثم المنصور؛ لأنهما يحملان أعباءَ السرّ، في الجهر والسرّ ، ولا أظنُّ أنَّ أحداً من أهل الفتح من إخواننا التجَانيّين يختلف في هذا الأمر ولا يوافق عليه. فإنّ السيّد الحاجَّ مالكاً رضي الله عنه كان كابني في كتب الإجازة، ومُنِيَ له طلب ذلك مني لنفسه بكلّ إلحاح فأجبت طلبَه ووجَّهتُ ذلك إليه قبَل حياته رحمه الله.

وقد انشرح صدري في إعلامكم بأنّي أجزتُ السيّد أبابكر سي ولدَه المذكور،

ثمَّ أخاه المنصور بعد ذلك مِن غير طلب منه؛ وإنَّما ذلك بباعث حملني على ذلك؛ فالله يأخذُ بيَد مَن أخذَ بيده (يد أبي بكر) و يفتح له في الدنيا والدين؛ حتى يكون أهل ودّه ظاهراً وباطناً مِن المخصوصين بالكرامة بجاه سيّد المرسلين عليه الصلاة والسلام ...)).

ثم استطرد الشيخ سكيرج رضي الله عنه في رسالته الطويلة يوصي المُقدَّمين، وسائر الإخوان بجمع قلوبهم ن وبالوحدة، والرجوع إلى السيّد أبي بكر سي فيما بينهم مِن أمور الطريقة التجّانية، وأعلمهم أنَّ مساعيهم تنجح إذا ائْتلفت قلوبُهم عليه في التقيُّد بالطريقة، وقال :

((إنَّ الطمع هو موجب الخلاف الذي يدعو إلى المنازعة، والشحناء، والبغضاء، وإيقاد نيران الفتن ...)).

ونبَّه على أنه قد أجاز بعد الاستخارة السيّد أبابكر سي، وأخاه بالإجازة الخاصة والعامّة، فقال :

«وأعلى سند عندي في الطريقة عن شيخنا العارف بالله، مولاي أحمد العبدلاوي، عن القطب السيّد الحاجّ عليّ التماسيني، عن شيخنا وسيّدنا ومولانا أحمد التجّانيّ عن مولاه رسول الله صلى الله عليه وسلّم».

ثمَّ أكد في الختام أمره :

« بشدّ عَضد السيّد أبي بكر سي ، فإنَّه هو الخليفةَ بلا شَكّ».

وختم الرسالةَ بالآية الكريمة :

(فليَحذَرِ الذين يُخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) (سورة النور : 61) .

ومِن التأييد لخلافة السيّد أبي بكر سي، قصيدة الشيخ المختار الديمانيّ، التي قال فيها :

وَرِثْتَ أباك في العِلْمِ والتُّقى
فَذو فَرْضين أنتَ وَكلٌّ أقْوَى

وأخرى للسيّد الشيخ «مُورْساسُمْ جَخْتي بن مَجَخْتي كلاَ « جاء فيها :

إنَّ الخلافةَ بعد موت أبيك قدْ
نُقلتْ إليك لحكمةٍ هي أكبرُ
أنت الّذي تَكْفِي لِكلّ مـُوَفّق
ولكلّ مَن ببصيرةٍ هو يَنظرُ

وقد دام الخلاف بين السيّد أبي بكر سي، وبين بعض المُقدَّمين المعارضين خمس سنوات وسبعة أشهر وسبعة أيام ، ولكنهم انصاعوا، وخضعت رقابهم المشرئبة المتطلعة لعرش الخلافة؛ فاستسلموا للحقيقة الربَّانيَّة، والإدارة الإلهيَّة، بعد ما تبيَّن لهم أنَّ السيّد أبابكر سي هو حقًّا وارثُ سرّ أبيه وحامل بركته ، وخليفة الله في أرضه وسمائه.

وكان منهم مَن تداركه نعمة من ربّه ؛ فثاب إلى رشده، وبادر بالرجوع إلى الشيخ الخليفة السيّد أبي بكر سي تائباً نادماً على ما فرَّط في جنبه مِن الطَّيْش والسَّفَه والحَيْف؛ معلناً له المبالغةَ في الدين والطريقَة والانضواء تحت لوائه، ورَهنَ إشارَتَه والإخلاصَ له في الطاعة والولاء .

وفي الحقيقة، إن هؤلاء المقدَّمين ومَن يساندهم مِن المريدين لم يفهموا أنَّ تولي السيّد أبي بكر للخلافة مِن بعد المرحوم والدِه، كان لحكمة إلهيَّة يراها الشيخ الحاجُّ مالك ، وهي المحافظة على التوازن لدى أوساط الطائفة التجَّانيَّة؛ ذلك بأنه كان مِن أتباع الشيخ الحاجّ مالك مقدَّمون كبار السنّ، ذو حظوظ عظيمة مِن الطريقة التجانيَّة بفضل التربية الروحيَّة التي تلقوها من شيوخهم سيّد الحاج مالك سي، الأمر الذي جعل كلَّ واحد منهم يدعي الحقَّ لنفسه في الخلافة بعدَ وفاة السيّد الحاجّ مالك سي؛ ممَّا قد ينجم عنه التنازع والخصومة وإذكاء نار الفتن تؤدّي إلى ضعف الطريقة التجَّانيَّة، وتفكك أوصال جماعتها .

وبذلك تكون خلافة أبي بكر حسما لكلّ خلاف يتوقع حدوثه، ورمزاً لشخصيّة الشيخ الحاجّ مالك، الذي يدين له الجميع بالطاعة والولاء، والإخلاص بالإجماع.

بعد استقرار الأوضاع :

تولّى السيّد أبوبكر سي الخلافة بعد أن اجتمع في شخصيته القويَّة مقاييس الشريعة، والمعايير الروحيَّة، التي يجب أن يتحلى بها كلّ عالم، تقيّ ، ورع؛ يعمل بعمله طبقا للشّريعة المحمَّديَّة، وشيخ مربٍّ، عارف بالله، مطلع على حقيقة الطريقة، والأسرار الإلهيَّة، موصل للعبد إلى الحضرة العليَّة .

وقال :

«إنَّ والدي كان يشرف بنفسه على إدارة المدرسة، وتسيير شئونها؛ فكان يعلم القرآن الكريم، وعلوم الشريعة، وفنون اللغة، وآدابها. وأنا سأعمل على التوفيق بين تطوير المدرسة والطريقة، وبين العصر الحديث».

وكان هذا القول إيذاناً منه بالاستمرار في أعمال والده، وأتباع نهجه القويم مع التطوير والتوسع؛ فوطَّد علاقاته بالمقدَّمين والمريدين، ودوام الاتصال بهم؛ ينظِّم شئونهم، ويجمع شملهم، ويصلح ذات بينهم، ويوجّههم في أمور الدين والطريقة، فأخذ يكاتبهم في طول البلاد وعرضه، ويبعث إليهم برسله تارة، وبرسالاته تارة أخرى ، ويوصيهم بسبع الخصال الآتية :

1ـ محبة الأقارب ،
2ـ الصداقة،
3ـ الإخاء،
4ـ الوفاق بين الناس،
5ـ المودَّة،
6ـ الوفاء،
7ـ التعاون .

ويكره فيهم الحقدَ، والغيرةَ، والتفرقةَ. وكان يسوسهم بالحكمة والموعظة الحسنة؛ تساعده على ذلك الصفات الخلقيَّة الحميدة التي يتميَّز بها ؛ فقد كان معروفاً بقوة الشخصية، وغزارة العلم، والمعرفة، وجودة الرأي، ورزانة العقل، ورجاحة الفكر ، وسلامة المنطق ، بشوش الوجه، ضاحك السنّ، بصيراً بأساليب الإقناع، حكيماً، حليماً، يكظم الغيظ، ويعفو عند المقدرة عن هفوات الناس،

وزلاّتهم، ولكنه كان صارماً، ذا مبدء ثابت، عالي الهمَّة، ماضي العزيمة، صلب المراس، لا يخاف في حقّ الله لومة لائم، أو تأخذه في النيل من الشريعة أو الطريقة، رأفة أو مجاملة.

وكان واسع الصدر؛ يحتفي بطلاب العلم والمعرفة الربَّانيَّة، عطوفا يواصي الفقراء والمساكين، ويرحم الأيتام والمساكين، جواداً؛ يسخو بما عنده على عفاة العون، والرّفادة، عبقريًّا، يتمتع بحضور الذهن، وبداهة التفكير والتصوُّف، مُلمًّا بمشكلات زمانه، مُحَنَّكاً في سياسة العصر الذي يعيش فيه، ويعاشرهم؛ يداري ولا يدارى، مُسالِماً؛ ينشد الخير والسلام لجميع الناس: قويّهم، وضعيفهم، غنيّهم، وفقيرهم، ويضعهم على قدم المساواة في العدل والاحترام، يفتح الباب على مصراعيه، مترفّعاً على كلّ دنيَّةٍ تُخِلُّ بالمروءة، ومواضع التهم التي تحمل الناس على سوء الظنّ به، فكان محذراً من الاختلاط غير المحدود بإدارة السلطة الاستعماريَّة إلاّ بالقدر الّذي تبيحه الضرورات من باب «التقية والمداراة».

هذه الصفات النبيلة جعلت من السيّد أبي بكر سي، شخصية روحيَّة محبوبة تحظى بكل الاحترام والإعجاب، والتقدير لدى الجميع .

كما كان رضي الله عنه يتمتع بالخاصية الإنسانيَّة السامية، وحاسَّة الشعور بالمسئولية المرهفة، فيهتمُّ بالمشكلات والقضايا التي تفرض نفسها على المجتمع، ويسعى إلى إيجاد حلول مناسبة لها ، يقدّم إجابات شافية حول الشريعة أو الطريقة، إما بالمشافهة أو بالمكاتبة ...

ولنقل شيئاً من مراسلاته في هذا الصدد، كي نقطف من ثمار أفكاره اليانعة الطيّبة.

جاء في رسالة وجّهها إلى كافّة الجماعة التجّانيَّة ؛ تحثُّهم على امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، والتمسُّك بأهداب السنَّة، وعدم المخالفة ؛ فوله :

« نوصيكم بعد أنفسنا بعدم اتباع خطوات الشيطان ، قال تعالى : (يا أيُّها الّذين آمنوا لا تتَّبعوا خطوات الشيطان ومَن يتَّبع خطوات الشيطان فإنَّه يأمره بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى من أحد أبداً واكن الله يُزكّي من يشاء والله سميع عليم) سورة النور : [21] .

وقال : (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (سورة الحشر: [7] .

وقال أيضاً :

(فليحذر الّذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنةٌ أو يُصيبهم عذاب أليمٌ) [سورة النور : 61] انتهى النقل .

وهذه الوصية الجامعة لا تصدر إلاَّ عن شخصية دينيَّة ، وشيخ عالم ، تقيّ ، ورع؛ يوصل المريدين إلى الحضرة الربَّانيَّة .

وورد في جواب له على أهل الزاوية بدكار ما يلي :

« وصل إلينا رسولكم ونائبكم ومعه كتابكم ...

أما الغلط والخطأ ، فسامحنا به ، قال تعالى : (... والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ...) [سورة آل عمران : 134] .

وأما أمر الإمامة في النائب الجديد، فقولوا له : نطلب منه أن يترك الإمامة؛ لأنَّ درء المفاسد أولى من جلب المصالح، فوقاية العرض والبدن بترك سنَّة واجبة في الدين. فاتركوا الزاوية على ما كانت عليه في زمن الحاجّ مالك رضي الله عنه ... وإنَّ أمر الزوايا مُنْكَدِرٌ، والكَدَرُ لابد من تصفيته، ولا يليق بنا أن نسكت عن أمر يفسد شيئا في الزوايا ، ... فكونوا على البال في ذلك « .

وفي ردٍّ له على أهل الزاوية بدكار أيضا قوله :

«إعلامكم بأنَّ كتابكم وصل إلينا ... يطلب منَّا إذنا بكتابة رسالة إلى أهل الغرفة التجاريَّة بدكار، ولكن ذلك المطلوب ليس بخواطرنا، ولا بمختار حقيقة عندنا، فالأمر والجواب أن لا تكتبوا إليهم ولا تتكلموا معهم. فلما مر الغلط الأوَّل في الرسالة إلى أهل الدولة لطلب المعونة، وبعدم معرفة سياستنا إليهم، لا نريد شيئا بعد هذا، نعوذ بالله من زيادة ذلكم أو مثله „لا يلدغ المؤمن في جحر مرَّتين"، وواجب علينا أن لا ندخل أنفسنا في وحلة وهلكة، بعد ما نجانا الله من ذلك. فالواجب أيَّ وجوب أن نقتصر عن طلب شيء منهم ؛ ممَّا يشبه ذلك ، ذلك لا لأجلنا. بل لأجل شيخنا وسيّدنا الحاجّ مالك رضي الله عنه؛ لأنَّهم كان يراعيهم ويساعدهم ويداريهم ، ويرضيهم في غير هذا الباب المطلوب فتحه، ... لا يكلّفهم مشقَّة، ولا يحمّلهم ما لا طاقة لهم في أمر ما، ولاسيما مثل الزاوية والجامع ، إلاَّ ما طابت به نفوسهم، ولم يتشوف إلى ما في أيديهم منذ حياته، والمأموم يقتدي بإمامه ...» انتهى النقل .

هذه الرسائل وغيرها ـ وهي كثيرة ـ تدلُّ على مدى اهتمام الشيخ الخليفة السيّد أبي بكر رضي الله عنه بالمشكلات والقضايا التي تحدث في أوساط الجماعة التجانيَّة حول الدين والطريقة، وأنه كان يراقب على كثب جميع المريدين والمقدَّمين في حركاتهم وسكناتهم، وأقوالهم، وأفعالهم، ويصلح ذات بينهم، ويسدي إليهم النصائح الغالية ، ويوجّههم أحسن التوجيه، ويرشدهم إلى الصواب ويهديهم الصراط المستقيم .

فتاويه :

كان تبحُّره وتمكُّنه من شتى علوم الشريعة، واطّلاعه الواسع على أمَّهات الكتب الفقهيَّة وأصولها، وعلوم التفسير والحديث ، ومعرفته التامَّة لأسرار حقيقة الطريقة التجّانيَّة، تعكس أثرا بالغاً في فتاويه على المسائل والنوازل .

ونقتبس من نور هذه الفتاوى كي نستضيء بها في مسيرتنا .

في رسالة إليه من السيّد الشيخ علي الفوتي نسبا ، والأشعري عقيدة ، والمالكي مذهبا، والتجاني مشربا ، طرح عليه كاتب الرسالة عشر مسائل؛ نجملها والردود عليها فيما يلي :

المسائل :

1ـ المسألة الأولى : في إمام يشرب أم يشم الدخان ؟
2ـ المسألة الثانية : في وجوب زكاة الفستق والفول ؟
3ـ المسألة الثالثة : عن حال زكاة الفستق قبل البيع وبعد البيع ؟
4ـ المسألة الرابعة: عمن سبق في الوظيفة، هل يقضي بعد المرَّة الأخيرة من جوهرة الكمال أم بعد قوله : الحمد لله ربِّ العالمين، مع الجماعة الّذين تمَّت وظيفتَهم؟
5ـ المسألة الخامسة : عن رجل تزوَّج امرأة وهي حامل ثمّ وضعت بعد أربعة أو خمسة أشهر؛ هل يتأبَّد تحريمها أم لا ؟ وكيف العدَّة ؟
6ـ المسألة السادسة: عمَّن أصابته نجاسة في أثناء الورد؛ هل يجوز له التمادي أم يقطع الورد ؟
7ـ المسألة السابعة: عمَّن صلَّى الصبح وهو إمام وتذكَّر النجاسة ؟
8ـ المسألة الثامنة: هل تعاد به الصلاة ؟ وهل يعاد به الورد ؟
9ـ المسألة التاسعة: عن الإسراع الَّذي يفعله بعض الإخوان في الوظيفة ؟
10ـ المسألة العاشرة: عن إمام لحَّان ؟
فكانت أجوبته على التالي :
الجواب الأوَّل: قال: « سألت الشيخ الحاجَّ مالكا ذات يوم في قرية «اندر» عن الإمام الذي يستعمل الدخان شربا أو شمًّا، هل إمامه صحيح ؟
فقال: إن علم الاستعمال قبل الصلاة ، فلا يؤمه على كل حال ، وإن أدركه العلم بعد الصلاة ، يعيد أبداً «.
الجواب الثاني: أما وجوب زكاة حب فول السوداني «كِرْتِي»في لغتنا العجميَّة، فلتراجع الديوان للشيخ الحاجّ مالك سي رضي الله عنه ، فقد أثبت فيه الوجوب معتمدا على كلام الفقهاء. وأما القول المعروف عندنا بـ «سَبْ أو نِيبِي» ، فأمره واضح في الوجوب ؛ لكونه من الأصناف القُطنيَّة ، وهي معدودة في الزكاة .
الجواب الثالث : وأما زكاة الفستق ، فكان الوالد يخرجها من حبه ، فإن بيع يخرجها من ثمنه وكل عشرة دراهم يأخذ منها درهما، وهكذا الأمر عنده .
الجواب الرابع : المسبوق في الوظيفة إذا تمَّت الجوهرة الأخيرة، يترك الجماعة ويرجع إلى قضاء ما فاته ، فإن أتمَّ يقول : (إنَّ الله وملائكته يصلُّون على النبيّ يا أيُّها الَّذين آمنوا صلُّوا عليه وسلِّموا تسليما) سورة الأحزاب: 56. صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً، سبحان ربِّك ربِّ العزَّة عمَّا يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله ربِّ العالمين« .
وكما أنَّ المسبوق في الصلاة لا يسلِّم حين يسلِّم الإمام ، فكذلك الأمر .
الجواب الخامس: وأما من عقد على امرأة وظهر بها حمل، ولم يقع بينهما شيء من مقدمات الجماع إلى أن وضعت الحمل، وفسخ العقد الأول، فيجوز أن يعقد عليها، وإن تقدَّم شيء مما قلنا ، تأبد التحريم على ما مشى عليه الشيخ خليل رحمه الله .
وأما عدة الحامل في الطلاق أو الوفاة، فوضع حملها كله، يعني أن الحامل من مسلم أو كافر، حرة كانت أو أمة ، مسلمة أو كتابية ، معتدة من طلاق أو وفاة، تنقضي عدتها بوضع حملها كله ... ولو بلحظة .
وقال أبو الضياء وشارحه شمس الدين التّتائيّ في مبحث الاستبراء: « واستبراء الحامل بوضع حملها كله، وإن دما اجتمع، فلا يكفي بعضه « ثم قال : «ولا فرق في ذلك بين من زنا وغيرها « (من فتاوى أبي عبد الله ، الشيخ محمد أحمد عليش « .
الجواب السادس: من أصابه نجاسة في أثناء الورد فليقطع الورد ، ويزيل النجاسة، ذلك أن الطهارة شرط صحة لا شرط كمال، وكذلك إن أحدث في أثنائه أيضا يترك ويتوضأ، ويستأنف وردا آخر.
الجواب السابع : من صلى الصبح أو غيرها من الصلوات الخمس، إماما كان كان أو مأموما، أو فذا بنجاسة في ثوبه ، أو بدنه، أو مكانه؛ ذاكرا، قادرا على إزالتها، قال صاحب الدر الثمين :
(إنه يعيد الصلاة أبدا ، وإن صلى بها ناسيا أو ذاكرا ، أو ذاكرا لكن عجز عن إزالتها ، أعاد الصلاة في الوقت ندبا) .
الجواب الثامن: حكم الصلاة والورد في الطهارة واحد، فمن صلى الصبح مثلا أو العصر بنجاسة، ويقرأ ورده بعد الصلاة ثم تذكر النجاسة بعد ذلك في الوقت، يعيد الصلاة والورد معا .
وأما الورد فلابد أن يعيده ، ولو فاتته إعادة الصلاة في الوقت، وتكون إعادة الورد متى ذكره .
الجواب التاسع: سألت الوالد الشيخ الحاج مالكا ، فقلت : هل رأيت أن أكون منفردا بعد دخولي الجماعة في الوظيفة لحرارة قلبي التي تولدت من إسراع الإخوان ألسنتهم ، ولا يمكن لي نطق حرف وكأنهم متسابقون ؟
فقال لي : لا !
ولم يزد كلمة واحدة ، فاكتفيت بذلك .
الجواب العاشر: إن في صلاة المقتدي بإمام لحَّان ستة أقوال :
1ـ إنها باطلة ، سواء أكان لحنه في الفاتحة أو غيرها .
2ـ إن كان لحنه في أمّ القرآن ، لم يصح الإقتداء به، وإن كان في غيرها صحت الصلاة خلفه .
3ـ إن كان لحنه يغير المعنى لم يصح الصلاة خلفه، وإن لم يغير المعنى صحت إمامته .
4ـ إن الصلاة خلفه مكروهة ابتداء ؛ فإن وقع ونزل لم تجب الإعادة .
5ـ إن إمامته ممنوعة ابتداءً مع وجود غيره، فإن أمَّ مع وجوده غيره صحت صلاته وصلاتهم .
6ـ إن الصلاة خلف اللحَّان جائز ابتداءً. وهذا القول حكاه «اللخمي». انتهى الاقتباس .

أدبه وشعره :

كان الشيخ الخليفة السيّد أبوبكر سي نابغاً في الأدب والشعر، فصيح الكلمة بليغ الكلام؛ نظم الشعر في شتى الأغراض؛ من

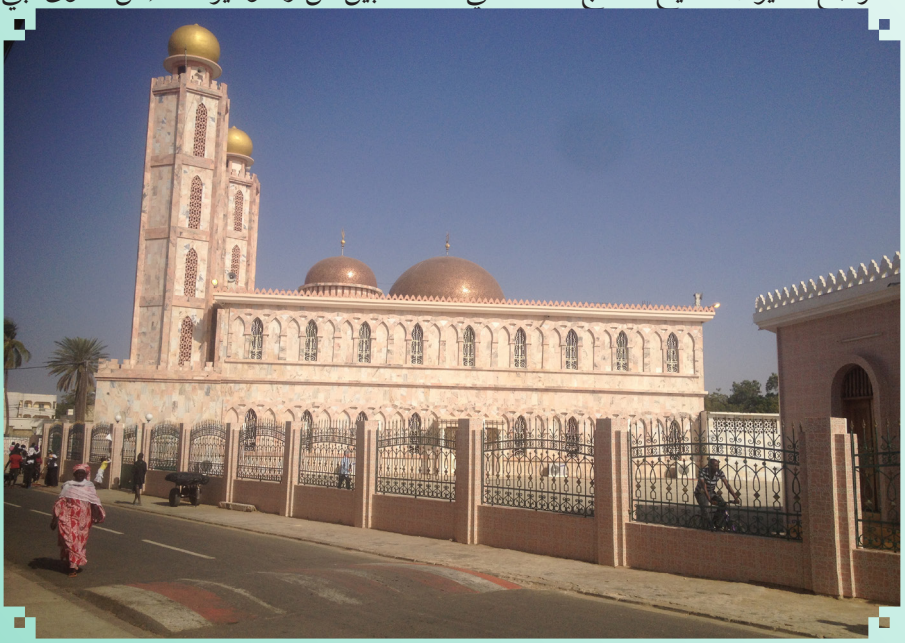

مدح وغزل صوفيّ، وحكم، وأمثال، ورثاء.
وكان شعره يمتاز بجزالة اللفظ وفخامة الأسلوب وسموّه، وقيمة الأفكار، ووضوح المعاني، وصدق العاطفة ، ومتانة التركيب، وغزارة المادة ، والثروة اللغوية .
ونختار نبذة من قصيدته التي رثا بها الشيخَ الفقيهَ الأجلّ ، والغطريف الأمثل، السيّد أبابكر جك، السالميَّ نسبا ، المالكيَّ مذهبا ، التجانيَّ مشربا .
قال رحمه الله :

إلامَ الأَسَى إنْ دامَ نَعْيٌ بمَسْمعِ
يرُوحُ ويغدو من مُلِمَّاتِ مَوضِعِ
ونارُ الجَوَى بين الحَوايا تَأَجَّجتْ
ولي زَفَراتٌ تعتَلي بين أضْلُعي
صُروف الليالي والدهور تَواتَرتْ
فإنَّ المَنايا في المَجامعِ تَرْتَعي
نُعِينا بشيخٍ كامل ذي تَضَلُّعٍ
علوما كبحرٍ زاخرٍ مُتدفّعِ
سمِيٌّ بثاني اثنين في الغار هجرةً
وصاحَبَ بالخيرِ الأمينَ لِمَضجَعِ
أبوبكرٍ السامي الذي كان يَرْتَقي
مَـراقِيَ خيـراتٍ وسَعْدٍ مُـوَسَّعِ
إلى أن قال :

لِيَبكِيهِ جيرانٌ وأحبابُه كـــذا
وأربابُ عهـدٍ والـوَفاءِ لِـمَرْجِعِ
لِيَبْكيهِ أهلُ العِلمِ والدينِ والتُّقى
وإخـوانُ صدقٍ ثمَّ وِلدانُ مَجْمَـعِ
ثمَّ ختم القصيدةَ بقوله :
فيا ربَّنا فاغفر لِعبدِك مُلْحَقًا
لِقولك « أَلْحِقْ بهِمْ « ذاكَ مَطْمَعِي
صلاةٌ وتسليمٌ على أفضلِ الورى
وما دامَ حادٍ في الـغِناءِ الـمُرَجَّعِ
مع الآلِ والأصحابِ ما قالَ قائلٌ
إلامَ الأَسَى إنْ دامَ نَعْـيٌ بِـمَسْمَعِ

مواصلته لأعمال والده :

كان الشيخ الخليفة ـ استمراراً وامتدادا لحياة والده الحاج مالك مع تطوير أعماله وتحسينها والتوسع في أبعادها ـ قد قام بتطوير المدرسة إلى جامعة شعبية تدرس فيها جميع علوم الشريعة؛ من تفسير وحديث وفقه وأصوله، وسيرة نبوية، وعلوم اللغة العربية؛ من نحو وصرف وأدب وبيان وعروض ومنطق، إضافة إليها بعض العلوم الإنسانية ، والطبيعية ، والرياضية .
وقد خرجت هذه الجامعة علماء أفاضل، وأدباء فطاحل، وشعراءَ نابغين، أسسوا المدارس والمعاهد؛ لتدريس العلوم التي نهلوها من ينابيعها الكثيرة الأصيلة المتدفقة من مدينة تواوون؛ عاصمة العلم والثقافة، ومركز إشعاع النور الإلهي، والمعرفة الربانية، كما توسع في بناء المساجد والجوامع والزوايا التي كانت مراكز العلم والثقافة الإسلامية حتى عمت جميع أقطار غرب القارة الإفريقية ، وتعالت أصوات المسلمين مجلجلة بقراءة «صلاة الفاتح لما أغلق» ، وتلاوة الورد التجاني داخل جدران الزوايا والمساجد والجوامع .

توعيته الدينية :

وكان الشيخ الخليفة أبوبكر ينتهز مواسم الاحتفالات بالذكرى النبوية العزيزة، وزيارات الدوائر، واللقاءات، وبث الوعي الديني في نفوسهم، ويحثهم على طاعة الله ورسوله، وعدم إشراكهم بعبادة ربهم أحدا ، ويسدي إليهم بنصائحه الغالية في أمور الدين والطريقة، ويأمرهم بالتمسك بالكتاب والسنة، ويوصي بتقوى الله والإخلاص في أعمالهم، وبالوحدة والتعاضد والتعاون، ويحذرهم من التحاسد والتباغض والتنازع والتعصب ومن كثرة القيل والقال ، والخوض بالكلام فيما لا يعنيهم ، ويردد في كل مناسبة على مسامعهم قوله تعالى :
(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) آل عمران : 103
وقوله تعالى: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) سورة الأنفال : 46 .
وقوله تعالى جل وعلا : (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك وأحسن تأويلا) سورة النساء : 59 .
وقوله أيضا :(يأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء و الله سميع عليم) سورة النور : 21 .
ويحذرهم كذلك من كل بدعة، فكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، ومن عدم سماع آراء المرجفين؛ مثيري الفتن والشقاق .
كما كان يأمرهم بدراسة كتب القوم والمؤلفات في الطريقة الأحمدية التجانية؛ كي يفهموا مبادئها والتعليمات الموجودة فيها، والتي لا غنى لكل مريد ملتزم عنها، وشدد عليهم في المحافظة على الصلوات الخمس، وأوراد الطريقة وأدائها بشروطها، وأوقاتها ...
خاتمة :

أيها الإخوة الأحباب :

هكذا كان المرحوم والمغفور له ، الشيخ الخليفة السيد أبوبكر رضي الله عنه، يتصور مفهوم «الهداية المشيخية» في الشريعة وفي الطرق الصوفية القائمة على الكتاب والسنة، كطريقتنا الأحمدية الختمية التجانية .
وذلك ان حقيقة الشيخ الصوفي هو عالم فقيه في الدين، ورع ، مخلص في تقوى الله، والعمل، طبقا للقرآن الكريم والسنة النبوية ، وآثار الصحابة ، والسلف الصالح من التابعين، فأورثه الله دقائق علمي الشريعة الإسلامية وأسرارها حتى صار مجتهدا، قادرا على استنباط قواعد الطريقة المقررة؛ من واجبات ومحرمات ومندوبات ومكروهات في هذه الطريقة الأحمدية التجانية على غرار الأئمة المجتهدين في الفروع الشرعية,
ثم أعطاه جل وعلا ـ إلى جانب علم الظاهر ـ علم الباطن ، وحقيقة النظر في تصفية القلب وتهذيب النفوس وتربية الأرواح بالمجاهدة والرياضة .
ثم رزقه الله علم المكاشفة والمعرفة بأسماء الله الحسنى المقدمة ، فانكشفت له الأستار عن خبايا الأسرار الإلهية، وبرزت أمامه التجليَّات الربانية، ثم لا يغيب عنه مقدار طرفة عين.
وليس مفهوم المشيخة عنده التَّشيُّخ الزائف الذي عمَّت بلواه هذا الزمن بتكبير العمامة ، وارتداء الملابس الفضفاضة ، والجلاليب المطرزة، والتزيّي بالسبحات المطولة، والطمع بما في أيدي الناس من حطام الحياة الدنيا الفانية، والتنافس في جميع الأتباع والمريدين واستقطابهم، والتقمص بمظاهر الأولياء وانتحال صفاتهم زوراً وبهتاناً، ونشر الإدعاءات والافتراءات الكاذبة التي لا أساس لها من الصحة، ولا تقوم على أسس متينة من الكتاب والسنة، والمأثور من أعمال الصحابة الأجلاء، والسلف الصالح من التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

من كتاب « الفياض « للشيخ عبد العزيز الأمين التجاني

العلم والعمل لتحقيق الأمل

العلم سلاح وأي سلاح؟ امتلاكه خطوة مهمة في السير نحو تحقيق النصر في أي معركة من المعارك، (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) إنه سلاح قوي وفعال في يد مالكيه، يستطيع به أن يتصرف ـ سلبا أو إيجابا ـ في تسخير هذا الكون، وفي استغلال خيراته، وفي تحسين الظروف الحياتية المحيطة به.

إن العلم هو أقوى الأسلحة وأكثرها قدرة على مواجهة كل التحديات والعقبات والأزمات التي تعترض مسيرة الإنسان في الحياة، ومهما كان حجم المصائب، أو فضاحة الكوارث، أو ضخامة الدمار المتسبب من الحروب والزلازل أو الكوارث الأخرى، يبقى بيد الإنسان سلاحا يمكن أن يعتمد عليه لإعادة ترتيب الأمور، وآلة للتغلب على تبعات وآثار ما حل به أو بمحيطه، وهو سلاح العلم، إنه في كثير من الأحيان هو السلاح الوحيد، والسند المتين الذي يمتلكه بعد ما يفقد كل نفيس وغال مما كان يملكه.

وامتلاك العلم، وترجمة نتائجه على أرض الواقع كان وراء هذه النهضة المذهلة، وهذه الثورة الصناعية والاقتصادية، والطبية، والتكنولوجية الهائلة في مسيرة الإنسان على وجه الأرض، فبه تغلب على كثير من الكوارث الطبيعية، وبه، وبالعمل بما أوصله إليه، استطاع الإنسان التحسين من ظروف حياته، ومن زيادة وتطوير محاصيله في الزراعة والرعي، بل ومن إضافة الكثير والكثير، مما سهل له العيش على وجه البسيطة، والاستفادة من خيراتها.

وكلنا يتذكر ما جرى في تلك المناظرة الأزلية في عالم الملك والملكوت، ففي سابقة أولى من نوعها، أبدى الجنس الملائكي ذو الخلق النوراني، نوعا من الامتعاض، وأخفى شعورا بالاعتراض، على إرادة المولى خلق البشر، وكانت الحجة المفضلة لديها، والتبريرة الوحيدة، المقدمة منها، لنيل شرف احتلال الأرض، والعيش فيها هي التكهن بما سيؤول إليها هذا الساكن الجديد، وما ستقترفه يداه، من شرور وآثام، مجسدة في الفساد، وسفك الدماء «أتجعل فيها من يفسد فيها، ويسفك الدماء»، وهم على العكس تماما من هذا المحتل الجديد المتوقع، «نسبح بحمدك، ونقدس لك».

وكان الرد الرباني سريعا ومفحما، «إني أعلم مالا تعلمون»، وشكل الامتياز الأول لهذا المخلوق الجديد، والذي سيرفع من قيمته أمام جمع الملائكة، ويعلي من مكانته، ويعطي لاستخلافه على الأرض علة وسببا وجيهين، هو كونه يعلم» أي مخلوقا مزودا باستعدادات فطرية للتعلم، «وعلّم آدم الأسماء كلها....»، إنه لا يعلم فحسب، بل إن له خبرة متينة، ونبأ يقين، بما يعلم، وهو قادر على استغلاله والاستفادة منه،»يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم، قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض....».

لقد بدا واضحا في هذا المحفل السماوي، أن ما رجّحت كفة الميزان لصالح جعل الإنسان خليفة الله في أرضه، ورفعه لمقام التكريم السامي الذي ناله على حساب كثير من المخلوقات، ليس هو أصله الطيني، أو عرقه الآدمي، وإنما لحمله في أصل تكوينه البشري وجبلته الإنسانية قابليات واستعدادات للتعلم والتلقي، والتزود من المعارف، ولقدرته على اختزان هذه العلوم والمعارف، ولأنه كذلك، مزود بحواس وعقل يمكنانه من التمييز، والاهتداء، لقد جاء اختياره لعلمه من بين كل العالمين الآخرين، إنه دون سائر المخلوقات هو المخاطب ب»اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم»، وهو ـ وحده ـ الموصوف بامتلاك القدرة على البيان، «خلق الإنسان علمه البيان»، فحياة الإنسان ما دامت متحركة في دائرة العلم والتعلم، كان أبعد ما يكون من الإنحطاط الحيواني، والتصرف البهيمي «أولئك كالأنعام بل هم أضل»، يقول الشيخ الحاج مالك سي:

وليس فرق بينما الإنسان
والحيوان دونما العرفان

ألم تروا أن الله وسم الذين لم يتعلموا، أو لم يستفيدوا مما تعلموا بالحمار، «.....كمثل الحمار يحمل أسفار».

والعلم كان وسيبقى، النعمة الكبرى، والميزة العظمى في كل فضل أو هبة يمن بها المولى على عباده من بين منه وعطاياه، (ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما)، (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم).

إن استمرار الإنسان مستحقا لهذا التكريم الإلهي مدى الدهر ،معلق ومنوط ببقائه متصفا بميزة العلم وفي استخدامه لنتائجه في القيام بواجب الخلافة في الأرض، (إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم).

ولا غرو من ثمَّ، أن تتركز جهود

الشيخ الحاج مالك سي في نشر الدعوة الإسلامية، على انتهاج طريق التعليم والتربية، باعتبارهما من الركائز الأساسية في أي مسعى نحو التقدم المطلوب، وتبنيه كذلك التدريس والتعليم الأسلوب الأمثل لتغيير المجتمع نحو الأفضل، وقد كرس في سبيل تحقيق هذا الهدف، كل حياته، فكانت زواياه في كل من تواوون، واندر، ودكار، قبلة الوافدين من شتى بقاع الأقاليم، فكوّن وخرّج جهابذة من العلماء والفقهاء، والأدباء، وكان تلاميذه رسله الأمناء في مناطق السنغال المختلفة في نشر العلم ومحو الجهل، واستنساخ تجربته الناجحة في تعليم الأجيال، وإرساء قواعد المجتمع المتحرر من أغلال وأوزار الجهل والأمية، أو ليس هو القائل؟

ألا بني هذا الزمان دعوتكم
لإحياء دين بالعلوم أجيبوا

ولله در وارث سره وفريد زمانه،وخليفته الأكبر، سميي وحبيبي، مولانا الشيخ الخليفة أبي بكر، فها هو منوها، بجهود والده في نشر العلم، وإيقاظ بني وطنه، وتأليف الكتب العلمية المتعددة والمنتوعة، ومقرظا على وجه الخصوص بكتاب خلاص الذهب في سيرة خير العرب، يقول:

كم دار فكرك آفاق العلوم وكم
أخرجت منها علوما قاضيا وترا
وكل فن لسان الحال قال لكم
الق العصا تلق تسييرا لما عسرا
أمعنت أتقنت أكملت الجميع وقد
أنكحت من عمل علما كفى انتشرا

إن هذا التراث المالكي في إقامة مجالس الدارسة، وزوايا نشر العلم والتربية الصالحة، لم تخب نارها قط، فعلى منواله نسج خليفته الأول السيد أبا بكر سي، فوسع بعبقريته الإطار العام لدور العلم الشرعي، فأنشأ الدوائر والجمعيات، ونادى بضرورة ارتياده من قبل الأتباع والمريدين للنيل من العلوم الشرعية والدنيوية، ما يستعينون به في شؤون حياتهم العامة، وسار على

ذلك الدرب شقيقه، الحاج منصور، المعروف بإحيائه لحلقات التدريس والتعليم، وكان عهد شقيقه الحاج عبد العزيز سي، من أبهى وأزهى العصور في إحياء دور العلم والحلقات التعليمية، وبجدهم وآبائهم اقتدى الأحفاد من بعدهم، فظلت شعلة العلم والمعرفة وقادة في زواياه، والمجالس العديدة التابعة لها، تصل شعاع نورها إلى كل المناطق في السنغال، إما عبر أبنائها الموفدين للدراسة في تواوون، وإما عبر خريجيها المنتشرين في ربوع البلاد المختلفة لنشر العلم والمعرفة بين أبناء السنغال.

وحاليا، فإن معهد الشيخ الحاج مالك سي، للدراسات الإسلامية والبحوث العلمية، الموجود في تواوون، والذي جاء ردفا وإحياء لتلكم الزوايا والمجالس العلمية العريقة، التي جعلت من مدينة تواوون ـ قديما ـ قبلة ومأوى لطالبي العلم، يشهد إقبالا منقطع النظير، ويشهد على ذلك العدد الكبير من مرتاديها في مراحلها المختلفة.

وهنا المقام لتوجيه خالص الشكر وجزيل الثناء، لأعضاء البعثة المصرية، المدرسين في مراحلها الثانوية والإعدادية، ولسفير جمهورية مصر العربية المحترم، فمنذ سنوات والمعهد يستفيد من الخدمات الجليلة من هؤلاء الأساتذة المرموقين، والشكر كذلك موصول للهيئة الجديدة من المدرسين الموريتانيين، الذين أوفدوا في هذه السنة للتدريس في المعهد، بمبادرة من فخامة رئيس الدولة محمد ولد عبد العزيز، رئيس جمهورية موريتانيا الإسلامية، (حفظه الله ورعاه)، ولسفير دولته في السنغال، على جهوده المتواصلة في تسهيل مهمة إيفاد هذه البعثة، فله من الحضرة المالكية التواوونية، ومن كل الدارسين في المعهد أجزل الشكر وأوفى الثناء.

إن بشارة خير ،وطلائع نهضة علمية أخرى توشك على التحقق في تواوون في القريب العاجل، وتكمن هذه البشارة في افتتاح المدرسة القرآنية الأصيلة أبوابها في العام القادم، وبدءها في إلقاء دروسها، واستقبال الطلاب الملتحقين بها في ظروف جيدة، وأحوال حسنة، نتيجة للجهود التي بذلتها الحكومة في تجهيز وتوفير كافة المستلزمات في هذه المدرسة، وقد تم وضع أمر إشرافها وتسييرها بيد الشيخ أبو بكر سي عبد العزيز.

إننا إذا أردنا النهوض والعودة بالحضرة إلى أوج مجدها وسنا تألقها، فما علينا إلا التأسي بنهج السلف الصالح في انتهاج هذا المسلك التعليمي التدريسي.

وإن الجهود المبذولة الآن من المشائخ الكرام، وعلى رأسهم الشيخ عبد العزيز سي الأمين في بناء المعاهد، ورعايتها، واستقطاب المدرسين الأكفاء في ثناياها، والاتصالات المكثفة والحثيثة من جانبه، في سبيل الترقية بظروف التعليم وأجوائها في تواوون، لتصب جميعها في مسعى إعادة الحضرة المالكية لسابق عهدها، وإنها لجهود مباركة، وستؤتي أكلها عما قريب بإذن الله.

خليفة لوه

تواوون لها محل من الإعراب

اعداد/ سيد احمد سي ابن الشيخ عبد العزيز

تحتل مدينة تواون ـ نظرا لموقعها الجغرافي ـ مكانا مرموقا في هرم المدن التي لها مستقبل زاهر وواعد في التجديد الديموغرافي والحياتي بل هي من كبري المدن التي يعلق عليها آمالا واسعة للتقدم، ولازدهار، في إطار البرامج التنموية التي تبناها الحكومة الحالية تحقيقا و استمرارية لما قامت به اسلافه من وعود ترمي الى جعل المدينة نقطة واعدة، ومركزا هامة للسياحة الدينية، والروحية، كمكة والمدينة من حيث الريادة وبغض النظر عن كونها قبلة أنظار محبي ومريدي الشيخ الحاج مالك سي، وحضرته المباركة التي يفد اليها سنويا آلافا مؤلفة من الزوار، والمريدين والضيوف، والوفود القادمة من كل فج عميق، ليشهدوا منافع لهم حيث ان مؤسس هذه الحضرة المباركة الشيخ الحاج مالك كان يقول: لو خُيرت بالمكان الذي اريد الإقامة فيه لاخترت مدينة «غايا» حيث تسكن والدتي، او مدينة» سين» مسقط رأس والدي المنعم، لكن العناية الربانية اختارت من بين المدن تواون

ومن بين الرجال شخصي لأنوب عنه فيها.»

نعم ان اختيار الحاج مالك ومدينة تواون لم يكونا مقدرين عن رغبة، اذا قارناهما بسيرة المصطفي ص حيث ان المدينة المنورة لم تكن أصلا المكان المختار مسبقًا من النبي ص للإقامة فيه؛ ولولا ان أهل مكة دفعوه الى الخروج منها ما خرج كما عبر عنه ص لما دَنا فراقه عنها بقوله: لولا ان أهلك أخرجوني ما فارقتك» او كما قال ص؛ بل هو من محض الإرادة الربانية التي لا دخل للبشر فيها فصارت تواون مدينة مالك وما مالك الا كريم المدائن.

وعند الرجوع الى الأسباب الطبيعية التي تجعل تواون من حيث الموقع تكتسب هذه الميزة نرى عدة عوامل أساسية منها:

- المكانة التاريخية:

لقد نقل من حفاظ التاريخ ان مدينة تواون كانت أصلا المركز التجاري لمنطقة «كيور»١ قبل الاستقلال

وبوجود الاستعمار الغاشم احتلت مكانا هاما ومرموقا نظرا لموقعها الاستراتيجي لدى المحتلين الذين يريدون بسط سيطرتهم في طول البلاد وعرضه، وكانت مدينة تواون تضم نخبة ممتازة من رجال العلم والفكر والسياسة وبعض التجار المحليين والأجانب الماهرين؛ فقبل الوجود الاستعماري الفرنسي كانت عاصمة للتجارة لان المغاربة كانوا يأتون عن طريق المرابطين الذين اليهم ينسب فضل أسبقية انتشار الدين الاسلامي على أيديهم في ربوع غرب افريقيا وخاصة موريتانيا والسنغال ومالي والنيجر.. وكل ذالك عن طريق التجارة الى ان اتخذ بعض التجار المغاربة الذين كانوا مقيمين في « سان لويس» ـ مدينة تواون مركزا لهم لان خط قطار السكة الحديدية التي اذا انطلقت» من سان لويس» العاصمة آنذاك كانت تحط رحالها الى تواون قبل التوجه الى دكار المحطة الاخيرة للرحلة، فرأوا ان معظم المسافرين لا يجدون فرصة لشراء بعض الأمتعة الا في تلك المدينة، حيث ان النزول فيها والتجوال ممكن بخلاف المحطات الاخرى فينتهزون الفرصة للنزول ولشراء بعض الهدايا الى ان سمي الحي الذي يتسوقون فيه «بحي النار» اي حي العرب وهذا قبل مجيء الشيخ الحاج مالك سي اليها واتخاذها مقرا له وتأسيس مدرسته الكبرى الذي بصدق «جامعة شعبية» كما عبر عنه المبعوث من قبل السلطات الاستعمارية الفرنسي بول مارتي، الى ان نجح في تغيير اسم الحي من «حي النار» ـ الذي يوحي بالنار الحقيقي ـ الى حي الجنة وهو الحي الذي كان يتجول فيه الملوك واصحاب النفوذ من وجهاء المدن في عصر الممالك مثل مملكة ١ »كايور»، و»انجامبور»، «وباول»٢، لشراء الخمور والتجارة

بالرق الى ان غير بصدق الى حي الجنة حيث تحول الملوك والوجهاء الى أئمة المساجد ومأذنين وعلماء بفضل جهود الشيخ الحاج مالك فأصبح دوي الاذان والصلاة وقراءة القرءان والذكر يحل محل الطرب والغناء والصراخ.

- الموقع الجغرافي المميز من حيث:

ـ الحرارة النسبية في الداخل ولاعتدال في السواحل تصلها رياح باردة تلطف طقس المناطق الساحلية والقريبة منها بحيث تتراوح بين ١٧ درجة مئوية كأعلى نسبة وخاصة في فصل الشتاء و٢٥ درجة مئوية في الصيف، ولانها في وسط سنغال بين ثلاث أقاليم تضم كبرى المدن السنغالية من حيث المساحة وهي مدينة دكار العاصمة ومدينة سان لويس العاصمة الأولى، ثم مدينة تيس ثاني اكبر المدن السنغالية وتقع على بعد ٧٠ كيلومترا شرق دكار، وهي ايضا ملتقى السكك الحديدية التي تمتد خطوطها الى جمهورية مالي كما ان مدينة تواون من اكبر المقاطعات من حيث المساحة الامر الذي جعلها مركزا هاما للتجارة والزراعة والصناعة، ولا بد من الإشارة بان مقاطعة تواون تضم منجمين تدران للبلد دخلا لا باس به واحد للفوسفات والثاني للزيركون حيث يعمل فيهما عدد من شبان المقاطعة رجالا ونساء.

- الجو المناسب

ان مناخ تواون من النوع المعتدل نسبيا لا حرارة تفسد الزرع ولا برودة تعطل عن العمل او التحرك بل الجو مناسب الى درجة ان أي عمل زراعي جاد مبارك وان قل المؤن بفضل طقسها المعتدلة والمناسبة وتربة أراضيها الخصبة لان المحصول الزراعي في تلك المنطقة من أجوده وأفضله حيث تضم جزءا من منطقة «نياي» الخصبة والغنية من حيث التربة.

- الطبيعة الخلابة:

ان اسم تواون لمن تعود زيارتها ـ مقرونة برحلة الصيف المعتدلة نسبيا وبها العديد من الأشجار الاستوائية وارقة الظلال والكثيرة الفواكه وفي هذا الموسم يكثر فيه فاكهة المانجا الموسمية والرطبة حيث ان أشجارها كثيرة ومنتشرة في ربوع المدينة والمنطقة بالذات وقيل ان السبب والفضل يرجع الى الشيخ الحاج مالك لما أتاه بعض الزوار الذين جاءوا من السودان بقطع من هذه الفاكهة الحلوة والغنية بالفيتامينات فطلب منهم ان يعطوه البذرة حتى يزرعها في المدينة لتكون نواة صالحة ومباركة فكأن العناية الربانية ارادت ان تكون الاسم تواون ممزوجة بهذا الثمار اليانع فلا يكاد يزار في تلك الأوقات الا والمتبادر في الاذهان هو شراء عدد لا باس به من كيلوغرامات المانجا اللذيذ والفريد من نوعه ليكون هدية سرور وحبور الى الأهل والأحباب وهناك عدة انواع من هذه الفاكهة قد أطلق عليها أهل تواون بأسماء شيقة ومناسبة لجذب الانتباه وتنوعها

أضف الى ذالك السمت الحسن الذي تتميز به تواون لدى الأوساط المحلية والدولية حيث لقيت قبولا لدى اصحاب النوايا السليمة، والمتخصصين فلا يخلو يوم من الأيام الا وهناك عدد من طالبي السكنى والإيواء مما دفع السلطات الدينية الى طلب من السلطات التنفيذية زيادة المساحة الكلية وتوسيعها نظرا لكثرة الطلبات ووفود الناس اليها بصورة منقطعة النظير فالكل يتذكر الموقف الشجاع الذي قام به الناطق بلسان الحضرة المالكية التواونية الشيخ عبد العزيز سي الأمين بلفت انتباه الرئيس السابق عبد الله واد على هذه الظاهرة مما دفعه الى أخذ كافة الإجراءات اللازمة لزيادة المساحة الى ٨٠الف هيكتار والفضل كل الفضل يرجع الى الشيخ عبد العزيز سي الأمين كما يرجع الفضل الى والده الشيخ الخليفة ابو بكر سي الخليفة الاول للشيخ الحاج مالك في آخر عهده للخلافة المباركة وكان في نيته اثناء مراسم الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ان يدعو كافة المريدين والأحباب القادرين الى انشاء مسكن في تواون كونها ارض سلام وإسلام حيث تضم تربتها ضريح المجاهد التقي النقي المجدد الشيخ الحاج مالك رضي عنه لكن الاقدار حالت دون تذكره اثناء حديثه مع المريدين في احياء ليلة المولد بالجامع العتيق فتمنى ان لو بقي الى السنة القادمة سيوصي بذالك حتى يكون في خلد كل مريد من أبناء الحضرة لكنه انتقل الى الرفيق الأعلى قبل تحقيق هذه الرغبة.

كما ان مدينة تواون تدخل الان في طور تجديدي فريد نحو التقدم والانفتاح الى العالم وذالك منذ عهد الرئيس السابق الذي وضع بصمته

في برنامج واعد تحت مسمى تواون الجديدة كما سار على نهجه الرئيس الحالي السيد ماكي سل فطور هذا البرنامج حيث تقدر بأكثر من مائة مليار حسب الحاجات والمتطلبات فتم بناء بعض المنشآت كدار الشيخ الحاج مالك سي للضيافة الذي سيضم قاعة للمؤتمرات تحوي سبعة آلاف مقعد وجناح رئيسي وشقق فاخرة كما تم بناء دار آخر للضيافة تضم قاعتين الاولى تستوعب خمسة آلاف مقعد وجناحين رئيسيين ومكتبة عام وغرف (ويشار الى ان هذا الأخير كان موجوداقبل البرنامج وهي مبادرة من الشيخ عبد العزيز الذي كلّف حركة (كوستاس) التي تقع على عاتقها مسؤولية تنظيم المولد)ببناءه فاستكمله البرنامج بعد توقف دام سنين كما تم ترميم بعض المنشآت الدينية وتجميل فناء الجامع الكبير كما يتم ترميم المنشآت الرسمية كمقر البلدية ومقر الولاية العتيقة والطرق المؤدية الى الزوايا والمساجد والأماكن العامة مع توصيل المدينة بشبكة طرقية امتدت من العاصمة دكار الى ابعد المناطق وهي طريقة الدفع السريع المعروف «بجمنياجو»

- تواون والنظرة المستقبلية

قد يصدق المثل القائل: لا تؤجل عمل اليوم الى الغد، وهذا منطبق مع الإجراءات التي اتخذت من اجل المدينة سواء من الناحية الديموغرافية او من الناحية التنظيمية، فقد أخذت السلطات كل القرارات نحو تسريع اعمال الخريطة التوجيهية لمدينة تواون ولولا هذه الخريطة لباءت اي مبادرة او خطة الى الفشل، لانها بمثابة حجر أساس لكل مشروع تنموي يخص تواون في المستقبل ولذالك قامت السلطات الرسمية بتوجيه الإدارات المعنية كوزارة الإسكان، والإنشاءات والبنى التحتية ، والاقتصاد والمالية ، ودفع الاموال المطلوبة اي ما يقارب ١ مليار نحو تحقيق هذه الخريطة التي لولاها ما أمكن توسيع نطاق العمل في الجانب السكاني والديموغرافي، كما ان السلطات الدينية لهم نظرة بعيده في تواون؛ الامر الذي جعلهم يطلبون من اصحاب المشاريع من رجال اعمال وعملاء ومستثمرين توجيه استثماراتهم نحو المدينة حتى تكون لها في الأعوام القادمة وبفضل هذه الخريطة منطقة صناعية صرفة تعطي فرصا هائلة للتوظيف، كما يرحبون بكل مبادرة ترمي الى إقامة مشاريع إسكانية واسعة النطاق من بناء فنادق ومساكن للزوار واصحاب النفوذ، ومحاولة وضع برنامج للسياحة الدينية كما هو الحال في الأماكن المقدسة التي يفد الناس اليها حول العالم.

- عاصمة الثقافة والعلم

ان الحقيقة الثابتة هي ان مدينة تواون قد اكتسبت هذا الصيت العظيم لدى الناس بفضل العلم الذي عرف به أهلها وبالخصوص مؤسس الحضرة التجانية فيها الشيخ الحاج مالك، حيث انه السبب الرئيسي الذي أدى الى انتقاله اليها واتخاذها مقرا لها بعد تجول دام ربع قرن، ونقل ان أهل تواون كانوا يبحثون عن مفسر للقرءان له طول الباع في هذا الفن فصادف ان أشير الى الشيخ الحاج مالك كونه الرجل المناسب فتوجهوا الى سان لويس حيث يتواجد لاقناعه والطلب منه الإتيان لتعليمهم علم القرءان، والتفسير،فوافق على ذالك الى ان رمى عصا الترحال اليها بصورة نهائية لما رآه من توفر شروط اقامته وهي:

١ ـ ان تواون مدينة متحضرة غير بدائية وهذا في نظر الشيخ الحاج مالك ضروري حتى لا يساء الفهم حول نواياه السلمية لدى المستعمرين قطعا لطريق الوشاة حيث انهم كانوا له بالمرصاد.

٢ ـ الجو مناسب للعمل الدعوي، والتعليم، والتربية، لان معظم سكان تواون كانوا من التجار والجهال الذين ليس لهم باع طويل في العلوم الشرعية نظرا لكثرة وفادة القادة التقليديين اليها.

٣ ـ ان الصفات الفطرية لمعظم أهالي تواون تلائم الصفات الخلقية التي يجب ان يتحلى بها كل مسلم وهذا بفضل جهود بعض الشيوخ الصالحين الذين مروا او أقاموا فيها مدة من الزمن (ويشار الى ان اول جامعة إسلامية عريقة كانت في مدينة بير وقد أسست سنة ١٦٢٨م وهي تبعد عن تواون بحوالي: ١٥ كيلومتر).. وتلك قدح من بحر

- مدينة سلام وأمن وأمان:

ان مما لا يماري فيه اثنان بخصوص تواون هو انها مدينة هادئة الى درجة ان من زارها ليلا يعتبرها قرية صغيرة لا يتجاوز عدد سكانها ١٠٠ نسمة، وذالك نظرا للهدوء النسبي المتواجد ولما عرف أهلها من حبهم للسلام والوئام. والانطباع المشترك لدى الجميع ان أهل تواون أهل مضياف فلا يرمي عنها الزائر او المسافر عصا الترحال الا وله نية الرجوع، ولا تدس قدميها تربتها المباركة الا وقد اعجب بالأيادي الغراء التي تتسابق الى استضافته وترحيبه وتقديم العون له، والحقيقة ان الضيف لايشكوا من نقص بل الشكوى يكمن ـ داءما ـ في الزيادة وبلوغ الحد في تقديم الخدمات، والمأكولات، والمشروبات، ناهيك عن الجو الروحي الذي يحيط به من دوي أصوات الاذان، والإقامة والصلوات، والأذكار الليلة، والصباحية، والمسائية، الى انتشار مجالس العلم في طولها وعرضها، والقران الذي يتلى آناء الليل، وأطراف النهار؛ بل تواون يوميا في موسم روحي ثقافي حيث تنظم المحاضرات، والملتقيات، والندوات بصورة مستمرة

والى جانب هذا الغليان الروحي الثقافي الذي يرسي دعائم الأمن والسلام، فإن القيادة الدينية اصروا على ان لا تشكل المدينة مأوى للمجرمين

وتجار الممنوعات، كما هو الحال في كبرى المدن والعواصم الدينية حول العالم، وبالتعاون مع السلطات الرسمية والمقيمين فقد تم وضع حد لأي محاولة تجعل المدينة مركزا لهذا النوع من التصرفات والحقيقة ان تواون بكونها عاصمة دينية، و مقرا للخلافة العظمى للطريقة التجانية، ورائدة المدارس الدينية في ربوع البلاد، ومركزا للإشعاع الروحي؛ حيث يفد اليها ألافا مؤلفة من الزوار، والمريدين، والمسؤولين، وصناع القرار؛ يجذب انتباه بعض المجرمين،

وأصحاب النوايا السيئة، باتخاذها مقرا لهم لكن أعمالهم تبوء بالفشل بفضل الجهود التي بذلت وتبذل للوقوف امام هذه الظاهرة المنتشرة في شتى نواحي البلاد، والعامل المساعد على ذالك ان القيادة الدينية في تواون لا تشكل حجر عثرة اما اي عمل يؤدي الى تأمين المنطقة، او تعرقل سير العدالة على المذنبين، او تقف ضد كل من قام بإرجاع السلا م والأمن والامان ولو كان على حساب الحضرة او المريدين، لان» من أمن العقوبة فعل ما يريد»وهذا مؤكد في الآونة الاخير حيث طلب الشيخ عبد العزيز سي الأمين الناطق بلسان الحضرة المالكية السلطات الرسمية بزيادة عدد رجال الشرطة في تواون حرصا منه على سلامة المقيمين والزوار.

- مدينة تحت الصيانة

يقولون: ان الطبيعة خائفة من الفراغ»وهذاالمثل ينطبق على تواون حيث ان القيادة الدينية تحرص دائما على بحث السبل لتطوير المدينة وازدهاره؛ بل لم يدخروا اي جهد يرمي الى تحقيق أمل الخليفة الشيخ احمد التجاني سي في ان تكون تواون مدينة مثالية من جميع المقاييس الا اتخذوه، وهذا يستوي فيه العمال الذين يعملون في المناجم والمصانع، والاداري في مكتبه، والمزارع في حقله ،والعالم في محضرته، والفني في مرآبه، والتاجر في محله،والمعلم في مدرسته..

كما ان القيادة الدينية منها والرسمية يعلقون آمالا واسعة في البرنامج الخاص بمدينة تواون؛ حيث يلتف حوله متخصصون، وفنيون، في جميع المجالات، ومن اصحاب النوايا السليمة من المواطنين، والمقيمين، والمهاجرين، الذين ينتمون الى الحضرة المباركة والغير المنتمين من اصحاب الايادي البيضاء، لتحقيقه ، الامر الذي جعلت المدينة تحت الصيانة الدائمة، والأعمال الإصلاحية في كل زمان، ومكان، وفي جميع المستويات، مع حرص شديد على ان تتم المشاريع بصورة لائقة ومميزة لكي تكون مدينة الشيخ الحاج مالك في طليعة المدن الاسلامية الكبرى من حيث الجودة والرقي المعيشية والثقافية والاجتماعية تحت قيادة دينية حكيمة تعيد الى الاذهان ما كان للمدينة المنورة من تأثير إيجابي لدى كل زائر من حاج ومعتمر وغيره، وما لمكة أولى الحرمين الشريفين من تأثير في نفوس ضيوف الرحمن الذين ياتون من كل فج عميق، وما لمدينة فاس المحروسة قبلة أنظار محبي ومريدي شيخنا التجاني رضي الله عنه من تأثير، وما لكل بقاع مقدسة ومباركة من بقاع المعمورة التي تشد اليها الرحال من تأثير في القلوب بصورة مستمرة.

وَمِمَّا يزيد على حقبة من الزمن نسمع نداءات الخليفة الحالي الشيخ احمد التجاني سي الى الاهتمام بمدينة تواون في أبيات مطلعها:

نزلنا نزولا لا رجوع بُعيده
بظلك يا خير القرى والمدائن
وفيكِ وجدنا ما اشتهته نفوسنا
وفيك وجدنا خير ما في المواطن
توطّنك الفَرد الذي عمم الورى
بآلائه تعميم أجود هاتن
وحفت بمأواك المبارك خُشعا
ملائكة الرحمان حفظ الأماكن
وزانكِ من فضل الإمام وفيضه
مجالس علم انِسَتْ بالخزائن
غذائك ذكر الله جل جلاله
وفي ذكره فوز لضيف وقاطِن
أتى فقراء المنهجيْن وغيرهم
بملء قطارات وملء السفائِن
يريدون تقديمَ الاعِنَّةِ للذي
يقودهُم لله لا للزّبائِن
« الشيخ احمد التجاني سي «

ورحم الله الشاعر الموريتاني حيث قال:

خليليّ عوجا وانزلا بتواوُن
تواوُن فيها اليمن للمتيامنِ
فما طار فيها طائر متشائمٌ
ولكنها ذات الطيور الميامِن
جزى اللهُ سُفُنًا بلّغَتْنَا الأرضِها
أتمّ جَزاءٍ من جزاء السّفائن
فلم يكُ قبلاً في تواونَ مَنزلي
ولاهِيَ من ارْضي ولا مِن مَواطن
ولكنّها صارَّت مدينة مالك
وما مالِكٌ إلا كريمُ المدائِن

التصوف منهج تربوي رباني

إن القرآن الكريم ذلك الكتاب العزيز الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، لو أمعننا النظر فيه وتدبرنا آياته بدقة لوجدنا أن التصوف الإسلامي قطب الرحى فيه. إلا أنه فقط يحتاج إلى تحليل الآيات وتدبيرها للوصول إلى ذلك الجوهر النفيس. ولذلك في هذا المقال أود أن أقف وقفة متأمل ومتدبر مع سادة القراء لمجلة الفاتح في آية واحدة يحدد فيها المولى سبحانه وتعالى بكل وضوح المنهج التربوي الرباني الحكيم الذي يصلح الباطن الذي عنوان الظاهر في الخير والشر.

إن الإنسان ذلك الكائن الحي منذ ظهوره على هذا البساط كان موضع اهتمام العلماء والباحثين، حيث خصصوا له علما يبحث في شأنه، فوصفوه بأوصاف متعددة. فمنهم من وصفه: بالحيوان المدني بالطبع، والحيوان الناطق، أما الإسلام فقد وصفه: بالكائن المكلف. والمكلف في تعريف الإسلام هو الذي يتمتع بالبلوغ والعقل والذي بلغته دعوة دين الإسلام(الشريعة)، تلك التي ضاقت عليها الأرض بما رحبت ووسع عنها قلب الإنسان، لأنها نزلت على قلب المصطفى صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى :(نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين) ذلك القلب هي المضغة التي تنسق جميع حركات الإنسان الظاهرة والباطنة، يقول الرسول صلى الله غليه وسلم في شأنها: (ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) فهو مهبط الشريعة ومحل التقوى الذي غاية تزكية النفس التي هي: محور التصوف الإسلامي الذي همه الأكبر إحياء القلب بالعبادات لتثبيت الإيمان والتقوى فيها. ولذلك الصدد وضع المولى سبحانه وتعالى هذا المنهج الذي تشير إليه هذه الآية: (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا). الكهف 27 الآية.

وإذا تأملنا هذه الآية، نرى أن المولى سبحانه وتعالى: وضع منهجا ربانيا حكيما ربى به نبيه الكريم، وبه ربى النبي أصحابه الكرام، ذلك الذي حقق للنبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام صدق المعاملة مع ربهم بعدما كانوا مؤمنين مخلصين أصبحوا رجالا مستقيمين بالشريعة الغراء وما بدلوا تبديلا. ولم يصلوا إلى تلك الدرجة إلا بمجاهدة النفس والعكوف في دعاء ربهم آناء الليل وأطراف النهار لعله يرضى، فيخضعون له بالغداة والعشي يريدون وجهه، أولائك القوم لا يشقى جليسهم، هم الذين يقول المولى سبحانه وتعالى في شأنهم،(لا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا...). وامتثالا لأمر المولى سبحانه وتعالى سلك المتصوفون هذا المنهج الذي يشيره المولى سبحانه وتعالى في الآية.

حيث ساروا متبعين لمنهج الرسول صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا وحالا، فأصبحو مؤمنين بل رجالا صدقوا ماعاهدوا الله عليه، فلا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، آمنوا بربهم فزادهم ربهم هدى، وزكوا أنفسهم بما يصفي خواطرها وينقي هواجسها ويكملها إلى الآداب ومكارم الأخلاق. وشغلوا قلوبهم بذكر الله فلم يكونوا من الغافلين المفرطين.وخلاصة القول هي: أن التصوف الإسلامي رغم تعدد تعريفاته: منهج تربوي رباني لإصلاح الباطن الذي تنعكس أثره على الظاهر. ولتحليل هذا التعريف نقول:

التصوف منهج تربوي رباني :

ونعني بالمنهج:

- تحديد المهمة التي يسعى المرء لتحقيقها في ذاته.(تزكية النفس)
- لماذا يقوم بها؟ إحياء للقلب، للظفر برضا المولى سبحانه وتعالى.
- وكيف يقوم بها؟ بالعبادات الظاهرة والباطنة.

فالمولى سبحانه وتعالى في الآية الشريفة، حدد المهمة التي يحب على المرء أن يحققه على نفسه، عند قوله: (واصبر نفسك) وكيف يقوم بها؟ عند قوله:(يدعون ربهم بالغداة والعشي) ولماذا يقوم بها؟ عند قوله(يريدون وجهه). وهذا هو المنهج الصحيح الذي يسلكه كل من يتولى مهمة إصلاح باطنه، حيث يعرف ما يقوم به من العبادات الظاهرة مثل: الصلاة والزكاة والصوم والحج. والباطنة: كالصدق والإخلاص والورع والقوى. ومالا يقوم به من المنهيات الظاهرة مثل: الزنى شرب الخمر السرقة. والباطنة: مثل الكذب والنفاق والحسد. وهذه لا تتم إلا بالاستقامة بالعبادات الظاهرة والباطنة. حيث يعد المولى سبحانه وتعالى للذين يستقيمون بها بالنعم الجزيل فقال:(إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون). فصلت الآية 30.

إذا فالمنهج هنا هو ذلك المسلك أو الطريقة التي يسير عليها المريد إلى مولاه. ويقتضي العلم بالشريعة والعمل بها على وجه الإخلاص، وإلا فالمنهج ضال ومضل.وفي ذلك الصدد يقول الشيخ الحاج مالك رضي الله عنه في كفاية الراغبين:

إن اتباع المريد النفس صاح على
ما خالف الشرع تفسير الهوى الوهن
ثم جعلناك قال الله جل على
شريعة فاقر للختم تسكين
وباطن لم يوافق من شريعتنا
فاكتبه باللام لا بالنون كالفطن.

وإذاكان هذا المنهج الرباني يقتضي العلم بالشريعة والعمل بها على وجه الإخلاص والصدق،فنقول إذا:

التصوف علم وعمل:

ومرادنا بالعلمي العملي: ذلك الذي يعلم علم الظاهر (الشريعة) عقيدة وعملا، بالجد في تعلمها ثم العمل بها، ويقتضي الالتزام بالمأمورات الظاهرة والباطنة والاجتناب عن المنهيات الظاهرة والباطنة، وتلك حقيقة التصوف الذي هو: غاية صدق العمل بالشريعة. والعمل بالشريعة على وجه الإخلاص يكسب المرء الكشف والمعرفة بالله (علم الباطن). لأنه كما قال الإمام الشعراني رحمه الله تعالى في كتابه الأنوار القدسية : هو العلم والعمل بالشريعة الإسلامية على وجه الإخلاص والصدق، فالمتصوفون علماء عاملين دعاة إلى الله ساروا إلى الله بالكتاب والسنة المطهرة فلذلك ظهرت أنوارهم وبقيت آثارهم. فلا تصوف بدون علم ولا ينفع العلم بلا عمل ومن قال بغير هذا فهو ليس من التصوف في شئ.لنتأمل ما يلي:

فهذا هو إمام أهل السنة الأمام أحمد بن حنبل رحمه الله يقول لولده عبد الله: يا ولدي عليك بمجالسة هؤلاء القوم فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة والخشية والزهد وعلو الهمة. ويقول عن الصوفية: «لا أعلم أقواماً أفضل منهم» كتاب تنوير القلوب ص .120

وهذا هو حجة الإسلام الإمام الغزالي رحمه الله يقول: (ولقد علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة وأن سيرهم أحسن السير وطريقتهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق). كتابه المنقذ من الضلال صفحة 49

ويقول الأمام مالك رحمة الله تعالى: (من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن جمع بينهما فقد تحقق) من حاشية العلامة على العدوي على شرح الأمام الزرقاني على متن العزبة في الفقه المالكي، وشرح عين العلم وزين الحلم للإمام ملا علي قاري .

ويقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: «حبب إلى من دنياكم ثلاث: ترك التكلف وعشرة الخلق بالتلطف والإقتداء بطريق أهل التصوف». من كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للأمام العجلوني

وتحدث الأمام أحمد ابن تيمية رحمة الله تعالى عن تمسك الصوفية بالكتاب والسنة فقال : (فأما المستقيمون من السالكين كجمهور مشايخ السلف مثل الفضيل بن عياض , وإبراهيم بن أدهم، وأبي سليمان الدارني، ومعروف الكرخي، والسري السقطي، والجنيد بن محمد، وغيرهم من المتقدمين، مثل الشيخ عبد القادر الجيلاني، والشيخ حماد، والشيخ أبي البيان، وغيرهم من المتأخرين فهم لا يسوغون للسالك ولو طار في الهواء أو مشى على الماء أن يخرج عن الأمر والنهي الشرعيين، بل عليه أن يعمل بالمأمور ويدع المحظور إلى أن يموت . وهذا هو الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف، وهذا كثير من كلامهم . الجزء العاشر من مجموع فتاويه

وقال سيد الطائفتين العارف بالله أبو القاسم الجنيد البغدادي رحمه الله تعالى: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبع سنته ولزم طريقته، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه، طبقات الصوفة ص 159 .

ويقول: (من لم يحفظ القران ولم يكتب الحديث لا يقتدي به في هذا الأمر لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة.

وورد عن العارف بالله الشيخ أبو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى أنه يقول: لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة.

ويقول أبو الحسن الشاذلي رحمه الله: «إذا تعارض كشفك مع الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف وقل لنفسك أنَّ الله تعالى ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنها في جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة إلا بعد عرضها على الكتاب والسنة». إلى غير ذلك من الأقوال الكثيرة التي تبين أن الاستقامة على الشريعة المطهرة هي أفضل من أي كرامة .

وقال الشيخ محيي الدين بن عربي قدس سره : لا يرتجي الوصول من لم يتبَّع الرسول صلى الله عليه وسلم .

واختم بقول سيدنا الشيخ أحمد التجاني رضي الله تعالى عنه، في ذلك الصدد: (إذا سمعتم عني شيئا فزنوه بميزان الشرع فما وافق فخذوه وما خالف فانتهوا)وهذا الكم من الأقوال فيه كفاية لمن أراد أن يعرف حقيقة التصوف . فإن كان هذا علم التصوف فأي علم أشرف من هذا العلم؟.

وإذا كان الإيمان يمثلان ثمرة غاية صدق تطبيق الشريعة وهما لايوجدان إلا قي القلب الطاهر النقي الصافي نقول:

التصوف مصلح الباطن والظاهر:

ومرادنا ب(إصلاح الباطن) ذلك الذي يصفي القلب ويزكي النفس ويرقي الروح، بقيام الليل والاستغفار بالأسحار(السهر) والصيام بالنهار(الجوع) والتسبيح بكرة وعشية (الصمت والعزلة). وفي ذلك يقول الشيخ الحاج مالك رضي الله عنه:

طال الوقوف بنا إخواني شبـــعا
نوما حديثا وتأنيسا بأخـدان
أركان بيت تريدون الدخول بـــه
صمت وجوع وعزل سهر أجفان
وغير مستعملي الأركان ما دخلوا
والبيت لا يستوي بغير أركـان

وب(انعكاس أثر الباطن على الظاهر) تطابق أعمال القلب مع أعمال الجوارح. لأن البواطن عنوان الظواهر. وقد صح عن الرسول صلى الله عليه قوله للرجل الذي يتحرك في صلاته بتحركات خارجة عن الصلاة، (لو خشعت قلب هذا لخشعت جوارحه). وقوله: (إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم). وذلك هو الصدق الذي يقول المولى سبحانه وتعالى بقوله: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا). ويؤكد ذلك الشيخ الحاج مالك بقوله:

صدق التوجه في إرضاء خالقنا
معنى التصوف لا ما قال ذو الرعن.

وقوله أيضا:
والصدق زينة المريد
أعاذنا الله من المريد.

وفي الختام نؤكد: إن التصوف لمنهج رباني لترقية الروح وتزكية النفس التي يقول المولى سبحانه وتعالى في شأنها: (ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها). الشمس 7-10. فهذه الآيات تشير بوجوب تزكية النفس التي فيها الفلاح والنجاة، و تزكية النفس تقتضي في البداية :

- التوبة: وهي الرجوع من كفران النعم بالمخالفات، بشكرها بالطاعات،
- الاستقامة: والتي تعني اعتدال السير على نهج السنة من غير تحريف، واستواء السلوك على سبيل الشرع من غير تبديل ولا تغيير. ولها ظاهر وباطن، فالظاهر تحلية الظاهر بحلية السنة وتعديلها بقانون الشرع وتهذيبها بآدابه، وطهارتها من جميع المخالفات والعصيان إذ لا استقامة لمخالف. وأما الباطن فتحليته بأخلاق الشرع وتهذيبه بآداب السنة. واستقامة الباطن أصل في استقامة الظاهر، وفي ذلك الصدد يقول شيخنا محمد المنصور رضي الله عنه:(إن البواطن عنوان الظواهر). قال تعالى:(فاستقيموا إليه واستغفروه). فصلت الآية 6
- التقوى: الذ يقتضي حراسة الجوارح من العصيان إتقاء سخط الملك الديان. وحراسة الباطن من العدوان ابتغاء رضا الرحمان. قال تعالى(واتقون يا أولي الألباب). البقرة الآية 197. إذا فالأدب مع النفس يقتضي تزكيتها والتزكية تقتضي التوبة والاستقامة والتقوى، وبجماع هذه كلها يكون المريد مصلح الظاهر والباطن وذلك هو مهمة التصوف الإسلامي، الذي وفقنا وقفة تدبر وتأمل معكم في تلك الآية الشريفة الكريمة قصد الاستفادة والإفادة، وما توفيقنا إلا بالله، جعلنا الله من المستقيمين على المنهج القويم.

الفقير إلى ربه: محمد في

مشايخ الصوفية فى السنغال، أمثلة حية

الشيخ الحاج مالك سي عبد العزيز الدباغ في كلمته في الملتقى الصوفي الثاني لمغال طوبى لعام ٢٠١٤ في فندق الملك فهد:

الملتقى الصوفي الثاني لمغال طوبى الذي نظمته لجنة الثقافة والإعلام بفندق كنغ فهد بمناسبة الذكرى السنويّة لرحلة الشيخ الخديم إلى المنفى
الموافق للثامن عشر من شهر صفر ١٤٣٦ ـ ٢٠١٤

كلمة الشيخ الحاج مالك سي عبد العزيز الدباغ
حفظه الله ورعاه وأمدّ في عمره آمين
نوفمبر ٢٠١٤
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائل في محكم تنزيله: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ والصلاة والسلام في أبهى صورتيهما وأجمل حلتيهما على سيد الأنبياء والمرسلين وإمام الأولياء والمقرّبين سيّدنا ومولانا محمّد الأمين الذي قال الله تعالى في حقه: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليه آياته ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾. سورة آل عمران آية ١٦٤.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وخلفائه الذين آووه وآزروه ونصروه واتبعوا النور الذي معه أولئك هم المفلحون.

صاحب الفضيلة والمشيخة ابنَ عمّنا المعروفَ بين القاصي والداني الشيخَ محمد المختار امباكي الخليفة العام للطريقة المريديّة حفظه الله ورعاه سالما غانما معافى.

أصحاب الفضيلة خلفاء الطرق الصوفية وممثليهم في هذا الملتقى الديني الصوفي الميمون.

حضرات السادة العلماء المشاركين في هذه الأيام المباركة.

حضرات السادة أعضاء اللجنة الثقافيّة والإعلام.

حضرات السادة المؤتمرين والمؤتمرات أخواتي وأخواتي.

إخواني وأخواتي الأعزاء.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فإنه أصالة عن نفسي ونيابة عن أخي وحبيبي فضيلة الشيخ المحترم السيد عبد العزيز الأمين الناطق الرسميّ باسم الخليفة العام للطريقة التيجانية حفظهما الله ورعاهما يسعدني غاية السّعادة أن تتاح لي فرصة المشاركة في فعاليات هذا الملتقى الصوفي الدولي الميمون الذي تنظمه كلّ عام لجنة الثقافة والإعلام بمناسبة الاحتفال بالذكرى السنوية لرحلة الشيخ الخديم أحمد بمب البكي رضي الله عنه خديم المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى المنفى الموافق للثامن عشر من شهر صفر في كلّ عام هجريّ تحت الرعاية السامية للخليفة العام للطريقة المريدية أمد الله في عمره وحفظه ورعاه.

وتعتبر هذا الذكرى فرصة عظيمة لتجمع المسلمين من كلّ أنحاء العالم وعقد لقاءات علمية وفكرية يشارك فيها مجموعة من الأساتذة العلماء والمفكرين الباحثين حول موضوعات وقضايا مختلفة من أهمّها:

في بلورة مبادئ السلم والاستقرار والتعايش السلمي الدائم

إبراز لبّ وجوهر الشريعة الإسلاميّة كأكمل منهج رباني جامع وشامل مجرد عن حدود الزمان والمكان، وأكمل تشريع جاء ليغطي الوجودَ كلّه ويربط الإنسان قلبا وقالبا بربّه ربطا محكما وثيقا حتى لا يحيد عن الصراط المستقيم الذي من حاد عنه ضلّ وأضل. يقول الله في محكم تنزيله: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ سورة طه آية ١٢٤

ولاشك أنّ هذا ما فهمه منذ الوهلة الأولى علماؤنا الأفاضل ومشائخنا الأماثل أهل الحضرة الإلهيّة الفائزون بشهود منه الذين تولى الله تزكية أنفسهم وتطهير قلوبهم وتصفية أرواحهم حتى أصبحت مرآة صافية للتجليات والواردات.

وهم الذين تقرّبوا إلى الله بالنوافل حتى أحبّهم وقرّبهم إلى نفسه فأصبحوا من عباده الأبرار المقرّبين الذين شرفهم الله بخوض لجج المعارك واقتحام المصاعب والمهالك، وحمل الرسالة الإسلاميّة بكلّ أبعادها ومظاهرها ومقاصدها الساميّة، ونشر قيمها الفاضلة ومزاياها الكاملة إلى كافّة أصقاع المعمورة.

وهم كدعاة سرعان ما فهموا أن هناك تحديات كبيرة ومؤامرات عديدة تحاك هنا وهناك لعرقلة مسيرتهم الدينيّة ونشاطاتهم العلميّة والفكريّة والدعويّة والإصلاحيّة والقضاء على حياتهم بصفة نهائيّة.

وكان من مقتضيات الحال أن يضعوا خططا مدروسة لمواجهة هذه التحديات السافرة فالتجئوا إلى الباري سبحانه وتعالى الذي تكفّل بحفظ ذكره، ودينه القويم وموالاة عباده الصالحين وكان لهم خير ولي ومعين حتى تمكنوا من بناء هذه المنظومة المباركة من القيم الحضاريّة الإسلاميّة التي يتفاعل فيها عنصر العلم والإيمان بعنصر التربيّة والأخلاق على أساس من معادلة الاعتدال والتوازن، علما منهم أنّه لا خير في علم وحضارة منفصلين عن الله والأخلاق الفاضلة.

وكانوا بفضل الله خيرَ رجال مدحهم الله وأثنى عليهم في محكم تنزيله بقوله: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليهم فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ما بدّلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذّب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إنّ الله كان غفور رحيم﴾. سورة الأحزاب آية ٢٣ ـ ٢٤.

وهؤلاء حقّا هم الرّجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه لقد عاشوا في أحلك الظروف التاريخيّة وعانوا ما عانوا من المضايقات لكنهم بهمهم العالية وعزائمهم المضاءة تمكنوا من إخراج الصورة الحضاريّة الإسلاميّة الصحيحة التي من شأنها أن تُعَدِّلَ المسيرةَ الإنسانيّة الجائرة المعوجة إلى الوجهة الربانيّة الصحيحة التي تُبَلوِرُ في كلّ مستويات الحياة مبادئ السلم والاستقرار والتعايش السلميّ الدّائم.

وهذا ما نلمسه فعلا في مظاهر هذه الذكرى التي أذن الشّيخ الخديم بتخليدها كفرصة للشكر والدعاء ومناسبة للتعارف وترسيخ مبادئ السلم والعفو والصفح الجميل والمؤاخاة في الله، والبعد عن التباغض والمعاداة، أعادها الله على الخليفة العامّ وعلى كافة أفراد الأسرة والأمّة الإسلاميّة بالخير والهناء والبركة والإزدهار والعمران.

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظ الجميع من كلّ مكروه وسوء وأذى وألا يكون آخر لقاء بيننا إنّه سميع مجيب الدعاء وآخر دعوانا عن الحمد لله رب العالمين.

أخوكم وابن عمّكم الشيخ الحاج مالك سي عبد العزيز الدّباغ

باسم فضيلة الشيخ المحترم السيد عبد العزيز سي الأمين

أمدّ الله في عمره وحفظه ورعاه آمين

العولمة وجه جديد للغزو الثقافي

إن نهاية الحرب الباردة في العقد الأخير من القرن الماضي، كان أهم حدث سياسي شهده العالم في تاريخه الحديث، ذلك أنه صاحبتها نتيجة حتمية، على المستوى العالمي، وهي بروز القطب الرأسمالي، وهيمنته على الساحة الدولية، وتأثيره على حياة الأمم والشعوب في مشارق الأرض ومغاربها، مما جعل الجوانب المختلفة من حياة هذه الأمم :اقتصادية كانت أو سياسية أو اجتماعية تصطبغ بصبغة جديدة، واكتسبت من جراء ذلك قواميس اللغات مصطلحات جديدة، من أكثرها تداولا في الأوساط السياسية والاقتصادية والاجتماعية مصطلح العولمة، ما هي هذه العولمة ؟ وما علاقتها بالغزو الثقافي؟ وما الموقف منها؟

العولمة في اللغة كلمة مولدة من كلمة (العالم)، وهي على وزن(فوعل) ويفيد تحويل الشيء من حالة إلى أخرى، وفي الاستعمال الاصطلاحي وردت لها تعريفات كثيرة بسبب اختلاف المثقفين في بيان مدلولها، إذ ينظر إليها كل واحد منهم من زاوية تخصصه.

ففي الحين الذي يرى علماء الاقتصاد بأنها مجرد خلق ظروف مناسبة لإنشاء سوق عالمية، تكون فيها أنماط الإنتاج والاستهلاك موحدة، فإن علماء الاجتماع ينظرون إليها على أنها ليست سوى محاولة لإلغاء الخصوصيات الفكرية والثقافية، وإزالة الأنماط السلوكية والاجتماعية الخاصة للأمم وانتهاج نهج عالمي موحد في كل ذلك.

أما أهل السياسية فيقولون: إن العولمة ليست إلا السعي لإيجاد إدارة عالمية موحدة، تكون ذات صلاحية تامة لتطبيق نمط سياسي معين في جميع الدول.

وهذه التعريفات وغيرها، مما يكثر تداولها في أروقة الجامعات، وعلى منابر القمم والمؤتمرات، التي تعقد على المستوى العالمي، تنصب في قالب واحد، وترمي إلى معنى معين، وهو رفع الاختلاف، وإلغاء الخصوصية بين الأمم وإيجاد نمط موحد، في الجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وهذا النمط الموحد ليس إلا النمط الرأسمالي، ولذلك تجند له الدول الغربية وخصوصا أمريكا كل ما لديها من قوة عسكرية وسياسية واقتصادية، لأنه حلقة من حلقات سلسلة العلاقة بين الذات والآخر،(الصراع الحضاري بين الشرق والغرب).

إن الصراع الحضاري بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، مر بأطوار مختلفة، تعرض فيها العالم الاسلامي لهجمات شرسة، من قبل جبابرة الشرّ الغربية، فمن الحروب الصليبية مرورا بالاستشراق ثم الاستعمار العسكري، فالحرب الباردة، أصبحت الدول العظمى وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية تسعى سعيا دؤوبا لفرض هيمنتها على بقية العالم، عن طريق ما يسمى بالعولمة، أو بعبارة أخرى أمركة العالم. والوسائل التي تستخدمها للوصول إلى أهدافها تبدو في الظاهر اقتصادية وسياسية، إلا أنها ذات أرضية ثقافية وفكرية.

وإذا أردنا أن ندرك العلاقة الحتمية بين العولمة والغزو الثقافي لا بد من تسليط الضوء على مفهوم الثقافة، الذي يعني أساليب الحياة الشائعة لدى جماعة أو مجتمع معين، والتي تظهر في أقوال الناس وتصرفاتهم أوعاداتهم خلال حياتهم اليومية، وهي أساس هوية كل أمة، ورابطها الوثيق بتراثها وماضيها التليد. وبعبارة أخرى فالثقافة تعني مجموعة الاتجاهات المشتركة والقيم والأهداف والممارسات التي تميز جماعة معينة عن غيرها من الجماعات.

ومن البديهي أن طبيعة الحياة البشرية تفرض على الثقافات

التعايش السلمي، بحيث تحتفظ كل أمة بخصوصيتها الثقافية والفكرية والدينية، وينص القرآن الكريم على هذه الحقيقة بقوله تعالى:(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)، إذن فالعلاقة بين الثقافات ينبغي أن تكون علاقة التعايش والتحاور والتعارف، لاعلاقة التصادم والتصارع كما يتناولها هنتنغتون في نظريته المشهورة عن صدام الحضارات.

إذا فالعولمة الثقافية عبارة عن عمل هادف إلى اختراق ثقافات الأمم الضعيفة اقتصاديا وسياسيا وزعزعتها، وسلبها مقوماتها، بهدف طمس هويتها، و تذويبها في نمط ثقافي مستورد، فتتحول بذلك العلاقة بين القطب الرأسمالي وبقية دول العالم من الاستعمار إلى الاستحمار، حسب خطط مدروسة وبسرية تامة ،لبلوغ أهداف طويلة المدى، والتي من أهمها:

1 ــ أن تبقى الشعوب المغزية حرة ومستقلة في الظاهر، بينما هي ذات تبعية تامة للقوى الغازية.

2ــ أن تكون مقومات الحياة الاقتصادية لدى الأمم المغزية، تحت سيطرة شركات متعددة الجنسيات، تنتمي في الغالب إلى الدول العظمى،

وما سياسة الخصخصة التي تجري في البلدان النامية إلا صورة للاستحمار الاقتصادي. ولله در الشاعر نزار توفيق قباني القائل

هجم النفط مثل ذئب علينا
فارتمينا قتلى على نعليه
وتركنا صلاتنا واقتنعنا
أن مجد الغني في خصيتيه
أمريكا تجرب السوط فينا
وتشد الكبير من أذنيه
وتبيع الأعرابَ أفلامَ فيديو
وتبيع الكولا إلى سيبويه
أمريكا رب وألف جبان
بيننا راكع على قدميه

3 ـ إيجاد فجوة بين الأمم المغلوبة وبين تاريخها وحضارتها التي هي أساس هويتها الثقافية والفكرية.

4ـ إحياء القوميات والعصبيات والخلافات المذهبية والطائفية بين أفراد الأمم المغلوبة بقصد تطبيق قاعدة (فرق تسد).

5ـ تمجيد لغات الغرب وثقافاتها وفنونها، واعتبارها محك الرقي الاجتماعي، على حساب لغات الأمة وثقافاتها وفنونها التي ينظر إليها على أنها رموز للرجعية والتخلف والدونية.

ولبلوغ هذه الأهداف المذكورة وغيرها، جندت القوى الغازية وسائل وأساليب مختلفة، لكن أهمها وأكثرها خطورة على ثقافات الأمم الضعيفة، يتمثل في تقنيات الاتصال الحديثة، التي حولت العالم الواسع إلى قرية صغيرة، وساعدت على فرض هذا الطغيان الإعلامي الغربي على العالم بأسره الإمكانات الاقتصادية الهائلة التي تتمتع بها القوى الرأسمالية، فهي التي تسيطر على وكالات الأنباء العالمية، ويصدر إلى حيز الوجود من جامعاتها ومراكز أبحاثها تلك النظريات الموجهة للإعلام العالمي، والتي على أساسها يتم تدريب الإعلاميين في جمع أرجاء المعمورة، هذا بالإضافة إلى القنوات الفضائية الكبرى، وشبكة الإنترنت التي تخترق الحواجز الزمانية والمكانية، وتستهدف كل الشرائح الاجتماعية، باستعمال الوسائل السمعية والبصرية (ثقافة الصوت والصورة) التي تنقل رسالتها الإعلامية إلى مستهدفيها ببساطة، بسبب سهولة فك رموزها، لأن فهم مضمونها لا يتطلب من المتلقي أي مستوى علمي.

ولترويج الثقافة الغربية لم تكتف القوى الغربية باستعمال وسائل الإعلام لتوجيه الرأي العام العالمي، بل استقطبت النخب المثقفة من أبناء الأمم المغزية بشعارات براقة، كالشهرة العالمية، والفوز بالجوائز الكبرى عندما تتبنى ثقافتها وتتولى مهمة الدعاية لها ونشرها بين العوام عن طريق الإنتاج الأدبي والفني، وعلى هذا الأساس نرى بعض المثقفين والفنانين من بني جلدتنا قد تحولوا إلى أبواق لأصوات غربية متمتعين بشهرة عالمية مصطنعة من قبل الإعلام الغربي جزاء تنصلهم عن هويتهم القومية، وذوبانهم التام في الثقافة الغربية (رمز الحداثة والتطور ومواكبة العصر)، نذكر على سبيل المثال الصومالية أيان هرسي علي والبنغالية تسليمه نسرين.

وإذا تأملنا واقع المواقف تجاه العولمة بشكل عام ، والعولمة الثقافية على وجه الخصوص، يمكننا أن نستخلص ثلاثة تيارات:

1ـ تيار الرفض والمواجهة لأمواج العولمة، وهذا التيار يرى أن العولمة خطر على الثقافة التي تعتبر حجر الأساس في بناء هوية أي أمة من الأمم، ومن هنا يرى أصحاب هذا التيار ضرورة رفض العولمة بكل أشكالها، والعودة إلى الأصول الثقافية والحضارية للأمة، لأن ذلك أساس كيانها، وسر بقائها.

2ـ تيار الاندماج والذوبان، وهذا التيار اغتر بالشعارات البراقة التي يرفعها مروجوا العولمة، فأغمض العين عن مخالبها الحادة، وأهدافها الظاهرة والخفية، التي إن نجحت في تحقيقها على المدى القريب أو البعيد آذنت بتلاشي المقومات الحضارية والثقافية والفكرية للأمم المغزية،(لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعابذراع، حتى ولو دخلوا جحر ضب خرب لاتبعتموهم.....).

3ـ تيار الانفتاح والانتقاء، وهذا التيار يؤمن بالقيم الحضارية والثقافية للأمة، ولكنه يرى أن الحياة على الأرض تلزم على الأمم علاقة التعايش ومن ثم حقيقة التأثر والتأثير، فيحتفظ بأسس الأمم الحضارية وهويتها الثقافية، ثم ينتقي من الحضارات والثقافات الأخرى ما لا يتعارض مع الثوابت ويكون من شأنه إصلاح حال الأمة، ودفعها إلى مواكبة العالم في تقدمه(الكلمةالحكمة ضالة المؤمن ،فحيث وجدها فهو أحق بها).

وأختتم هذا المقال بالإشارة إلى أن العولمة واقع نعيشه في زمن القرية العالمية، وأنها تقوم على أسس ثقافية وفكرية لتحقيق أهدافها السياسية والاقتصادية، وهي هيمنة الغرب الضعيف ثقافيا وحضاريا على الشرق القوي ثقافيا وحضاريا ، ومن ثم تمثل خطرا كبيرا يجب وضع استرتيجيات لمقاومته والتصدي له عن طريق إعادة المناهج الدراسية شكلا ومضمونا، كي تلبي حاجاتنا في إعداد الإنسان الصالح الواعي بمسؤوليته في هذه الحياة، وعن طريق توعية أولياء الأمور بدور الأسرة الفعال في تربية النشء، وعن طريق بعث التراث الحضاري، وإعادة صياغته في صور وقوالب مناسبة لأذواق أجيال عصر الإلكترونيات، ولا سيما الشباب، لأني مقتنع تمام الاقتناع بأن المقاومة في غير ساحة المعركة وبوسائل أخرى غير تلك التي يستخدمها العدو، مصيرها لامحالة هزيمة نكراء، نبقى بعدها نبكي على أطلال الأمجاد السالفة حين لا ينفع بكاء ولا عويل.

الأستاذ:
كودي نيان في مدرسة انجاصان الإعدادية

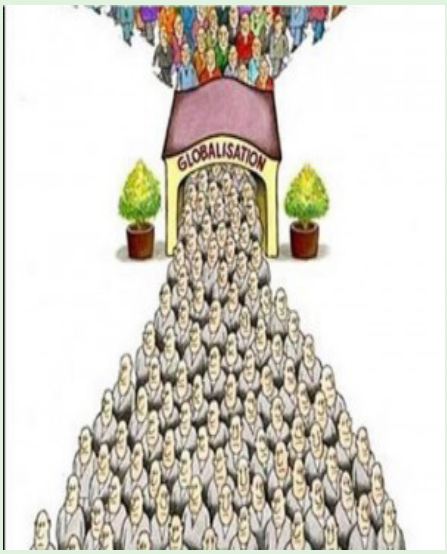

طريقة الحاج مالك في الدفاع عن الإسلام أيام الاستعمار

كان رضي الله عنه يدافع عن الإسلام في جميع الأحايين بالعلم تعليما وتأليفا وتطبيقا وفي أيام الاستعمار بسياسة الرسول في مكة قبل الهجرة حين كانت القوة للكفرة بتفوقهم عليه عددا وعدة فداراهم وصبر على أذاهم وأبدى المسالمة حتى أخرجه الله من بينهم سالما معافى وقد زرع وغرس الإسلام في قلوب أولادهم وعبيدهم وقد صدره إلى الخارج إلى المدينة وإلى الحبشة مما مهد لانتشاره ووصوله إلى جميع بقاع العالم فكان عدد الذين دخلوا فيه أيام إقامته بمكة بدون الجهاد بالسيف وأيام هدنة الحديبية يفوق بكثير وكثير عدد الذين دخلوا فيه أيام حمل السلاح مما درسه الحاج مالك وطبقه في أيام الاستعمار وقد رأى ما وقع للذين حملوا السلاح والذين واجهوا المستعمر بالقوة وتلقى من هذا وذاك دروسا وعبرا واكتسب خبرات أفادته وأدته إلى سلوك سياسة أنجح في نشر الإسلام والحفاظ على تعاليمه وأقوامه وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم:

ليس للجهاد مصلحة في هذا الوقت لما فيه من تفريق جماعة المسلمين وتشتيت آرائهم ولأن عوام المسلمين إذا دعوا إلى الجهاد يسبون الحرائر ويأخذون الأموال ويرتكبون من الآثام ما يرجع إلى إمامهم وقائد حربهم١

بهذه السياسة المكية حارب الشيخ الحاج مالك المستعمر بصفة عجيبة وصد هجومهم بطريقته هذه الخاصة فكل مكان أقاموا فيه مقرا لإدارتهم أو كنيسة لدينهم أو ممثلا لهم أقام فيه هو الآخر مركزا إسلاميا إما مسجدا بقيادة إمام كفئ أو مدرسة بمعلم متفوق أو زاوية بذاكرين متحمسين أو مندوبا مخلصا فأنشأ زاويته في ندر مقابل المقر العام للحاكم الفرنسي وزاويته بدكار قرب كنيستهم الكبيرة وأسس المدارس والزوايا في كل منطقة يوجدون فيها في السنغال وجعل هذه المراكز والمنشآت كلها لامركزية حيث جعل للقائمين عليها حرية مطلقة في اتخاذ القرارات المناسبة التي تخدم الإسلام بدون الرجوع إليه بعد أن كونهم تكوينا تاما صاروا به أكفاء فلا يرجعون إليه إلا عند المعضلات الكبرى والحالات النادرة العويصة لأنه لم يفوضهم ليجمعوا له الأموال والمريدين والأتباع بل ليعلموا العلم وينشروا الإسلام ويحافظوا على قيمه ويصدوا هجوم المستعر على المعتقدات والقيم والحضارات فاتخذ تواوون عاصمته ومركزه الرسمي لما لها من أهمية إستراتيجية بموقعها الجغرافي الحساس ومكانتها الحضارية والثقافية العريقة فهذه بير المعروفة على مشارفها وتياس على أعتابها وندر ولغا ودكار وغيرها من المدن الرئيسية على مرمى عين منها فجلس فيها (تواوون) يباشر التعليم والإرشاد والتكوين والإمامة مع إدارة الكلية التربوية الروحية ألا وهي مجلسه الذكري الذي كان يربي فيها كبار الدعوة الذي تخرجوا من المجلس العلمي أو الذين جاءوا لتلقي التكوين السريع في الدعوة فكانوا يجتمعون مع الشيخ في هذه الكلية حين يستغرق العوام والبطالون في النوم متمتعين بالتمدد والتململ في الأسرة الموسدة الوطيئة والبسط الرفيعة الناعمة وقت السحر وأول النهار ويجتمعون فيها (الكلية الروحية) أيضا حين يأوي العوام والبطالون إلى بيوتهم ومنازلهم لأخذ الراحة من الممارسات النهارية ويتجافى الشيخ وكبار الطلبة في الكلية الروحية يتجافون عن مضاجعهم يدعون ربهم خوفا وطمعا متضرعين إليه في نجاح الدعوة حين يتمتع العوام بالنوم العميق أو حين يستأنسون بالتحدث والاستئناس بربات البيوت وسيدات المنازل هذا وهذا عمله في تواوون بالجملة وبالاختصار ولكنه لم يتوقف عند هذا الحد وإن كان فيه ما يكفي في الدفاع عن دين الوطن وثقافته وحضارته الإسلامية بل بعث السفراء وعين المندوبين في السنغال وخارجها فعين أحمد بوي سفيرا للإسلام في ساحل العاج ومجور جنق في كنقو وندار مباي في غابون وبابكر جنق في إفريقيا الوسطى واختار مندوبين لا يحصون في داخل حدود سنغال وخارجها بصفة غريبة وعجيبة و سياسة سلمية ورشيدة مما لا يسع له هذه العجالة

ومما يدلك يا أخي على أنه سلك سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم في بداية الإسلام لمصلحة الدعوة والمدعوين لا لضعفه أو خوفه من المستعمر : وقوفه موقف الشجاع الغالب المتسلط على خصمه بردوده وأجوبته العنيفة بأقوال غليظة وبليغة وبلهجة شديدة ومستفزة في الدعوات الثمانية التي وجهها الحاكم المستعمر إليه

منها : قوله : إن الله سبحانه وتعالى أمرني وإياكم بعبادته فرفضتم وقبلنا وسأعمل أنا وأتباعي على تحقيق هذا الهدف أما فيما يتعلق بالأسلحة التي قلتم بأننا ادخرناها فصحيح ومنها هذه السبحة التي بين يدي وسأعمل بها لنشر الإسلام والطريقة التجانية على رغم أنوفكم ٢

نعم قد لا يفهم البعض أو قد يتساءل البعض وجه ومغزى وسر سياسة الحاج مالك هذه في الدعوة أيام المستعمر الذي عاشره مثل الحاكم الفرنسي فيدهرب وقومه بل وقد ينتقده في ذلك بعض أعداء الحق والحسدة المحقدين أو الذين ركبهم الجهل المركب فمن ذلك : أن بعضهم قد يتساءل لماذا لم يواجه المستعمرين بالحرب إذا كان على الحق ولما ذا كان يستجيب لنداءاتهم ؟ ولم كان يقبل شروطهم ؟ ولماذا دفع ابنه٣ للمستعمر ولماذا ولم ولم ؟ فأقول لأولئك توضيحا لما أجملته وأشرت إليه سابقا : إن الشيخ كان داعيا إلى الله حكيما يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة لأنه كان يعقل كلام الله ويعيه ويفهم مقاصد الكتاب والسنة وذلك لأنه

درس دراسة معمقة حتى عرف معرفة تامة سيرة الرسول ﷺ في معاشرته ومعاملته مع عبدة الأصنام الساجدين لغير الله المشركين به تعالى في الفترة التوحيدية ومعاملته مع أشد وألد أعداء دينه اليهود الذين عاش معهم في نفس المنطقة ومعاملته مع النصارى في الفترة الرسالية ومعايشته مع أخبث أنواع الكفار ألا وهم الفاسقون فساق أهل المدينة الذين كانوا يسكنون معه في نفس البيوت والحومات فالشيخ الحاج مالك كان يعرف تصرفات الرسول ﷺ وسياساته معهم في الأول والأخير ويجعلها نصب عينيه مرآة لتصرفاته وتحركاته في حقل الدعوة إلى الله واتباع سنة الرسول ﷺ فمن لم يعرف هذه السياسة النبوية من العوام والجهلة يظن أمثال الشيخ الحاج مالك من الدعاة الذين يتصرفون بالحكمة ويتدرجون في الدعوة ويتقدمون خطوة بعد خطوة ويصعدون سلم الصعود إلى الله درجة بعد درجة قد يظنهم العوام والجهلة بهذه السياسة جبناء أو عملاء كلا وأما غير العوام من الدعاة والمجاهدين المتحمسين الذين لم يسلكوا هذه السياسة لعدم وراثتهم أو لشدة تحمسهم فقد يدفعهم الرغبة في الخير إلى المغامرة بحياتهم وبدينهم ومبادئه فيتخطون بعض درجات السلم في صعودهم ورقيهم إلى الله ما يؤدي إلى سقوطهم وعدم وصولهم إلى الذروة فيصبحون فريسة الأعداء بزجهم في سجون الكفر مثل سجون غوونتنامو أو يلجوونهم إلى الدخول في الكهوف والجبال والسرادب فيلاحقونهم كما يلاحق الصيادون الصغار الضباب في جحرها ويطاردونهم في الكهوف والشعاب كما يطارد الرعاة الثعالب والذئاب أو يدمرونهم بالصواريخ فيتمكنون بذلك من عرقلة دعوتهم أو إيقافها بالمرة مع أن كثيرا من أولئك صادقون ومخلصون وغيورون للدين إلا أن عدم سلوكهم أيام الجاهلية الأخرى سياسة الرسول ﷺ في بداية الدعوة أيام الجاهلية الأولى أداهم في نهاية المطاف إلى حالة يرثى لها يرثى لها لا لكونهم وضعوا في السجون أو دمروا بالصواريخ بل لفشل الخطة التي نفذت قبل أن تنضج لهذا أو ذاك نعم أقول لأولئك : إن الشيخ الحاج مالك كان على بينة واضحة من أمره ووعي سديد لتصرفاته فكان يسلك مسلك النبي ﷺ في الدعوة وهو الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة فالأمثلة في تصرفاته ﷺ مع أهل مكة مدة إقامته بها وفي الحديبية وفي المدينة مع اليهود ومع عبد الله بن أبي المنافق وقومه كثيرة ومتنوعة كلها تدخل في تلك السياسة نعم دفع الحاج مالك ابنه للمستعمر كما يقولون ولكنه دفعه إليهم لينشر هذا الإسلام في معسكراتهم وربوعهم وقصورهم وضحى به فداء لأولاد المسلمين الذين وضعهم آباءهم عنده أمانة وصونا لعقائدهم ودينهم لذلك لم يدفعهم إليهم فرارا من خيانة الأمانة وعلما منه بأنهم لا يستطيعون الدفاع عن عقيدتهم وحضارتهم ولا يستطيعون مواجهتهم لقلة وضعف ما عندهم من العلم والاستعداد وعدم نضجهم بعدُ وأما ابنه فقد كان شرب من العلوم والأخلاق الإسلامية وعلم من السنة والسيرة النبوية مع جمعه بين حفظ نصوص القرآن وفهم معانيه من الأحكام والقصص ما يستطيع به تحصين عقيدته والدفاع عن دينه ومبادئه وله من الأخلاق ما يقدر به على مواجهة هجوم الحضارة بل له من العلم والمعرفة والحكمة ما يقدر أن يدعوهم به إلى الإسلام مع أن ذلك له أصل في السنة النبوية وذلك في قبول الرسول ﷺ شروط الكفار الجائرة في وقعة الحديبية انظر إلى سياسته مع المشركين يومئذ خصوصا قصته مع أبي بصير في تلك المناسبة تفهم به سر معاملته ﷺ مع المستعمر خصوصا تقديمه ابنه للمستعمر إن كنت موفقا منصفا فالقصة بالاختصار :

أن أبي بصير من أولاد المشركين اعتنق الإسلام وترك عبادة الأصنام وخرج من مكة مهاجرا لله إلى رسول الله ﷺ وقد كان معرضا للمعاملة السيئة حتى يرجع عن دينه أو يسلم للقتل الشنيع تحت ظروف من الاضطهاد التي لا يعلم بشاعتها إلا الله ففي هذه الحالة فر بدينه إلى رسول الله ﷺ فكتب أزهر بن عبد عوف والأخنس بن شريف إلى رسول الله في رده، ودفعا الكتاب إلى خنيس بن جابر ومولى لهم يقال له كوثر؛ ليوصلاه إلى النبي ﷺ فقدما عليه بكتابهما، ثم انظر يا أخي إلى رد رسول الله ﷺ بعد الاطلاع على الرسالة :

يا أبا بصير، إنا قد أعطيانا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا، فانطلق إلى قومك.

ثم انظر إلى جواب أبي بصير لرسول الله ﷺ قال: يا رسول الله، أتردني إلى المشركين يفتنوني في ديني؟

ثم أقنعه الرسول ﷺ بقوله :

يا أبا بصير، فإن الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا،

قلت : يا أخي قف وتوقف هنا لتشاهد معي بأم عينيك بُعْدَ نظر الحاج مالك وعمق تغوصه في تصرفات الرسول ﷺ فلقد علم الشيخ هنا أن الرسول ﷺ لم يسلمه إليهم التزاما وإيفاء لما التزمه لهم من عهود ومواثيق التي أمر الله بإيفائها حتى للكفار إلا لوثوقه ﷺ بقوة عقيدة صاحبه (أبي بصير) وصلابة إيمانه ما يقدر به الدفاع عن نفسه والانفلات من قبضة الفجرة وبراثين الكفرة بل ما يشكل به عصابة وفرقة حربية سريع التحرك تقوم بانتشال وفك كثير ممن كانوا مقيدين بالسلاسل في أورقة ودهاليز وشعاب مكة فلذلك كله دفعه الرسول ﷺ إليهم نعم فاستمع معي إلى بقية القصة وهي مليحة وطريفة لترى من حكمة الحاج مالك عجبا وعجابا :

فانطلق معهما حتى إذا كان بذي الحليفة جلس إلى جدار وجلس معه صاحباه، فقال أبو بصير: أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر؟ فقال: نعم، قال: أنظر إليه، قال: أنظر إن شئت، فاستله أبو بصير ثم علاه به حتى قتله، وخرج المولى سريعا حتى أتى رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد، فلما رآه رسول الله ﷺ طالعا، قال: إن هذا الرجل قد رأى فزعا، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ قال: ويحك، قال: قتل صاحبكم صاحبي، فو الله ما برح حتى

طلع أبو بصير متوشحا بالسيف حتى وقف على رسول الله، فقال: يا رسول الله، وفيت ذمتك، وأدى الله عنك، أسلمتني بيد القوم وقد امتنعت بديني أن أفتن فيه، أوِ يعبث بي، فقال رسول الله ﷺ، «وَيْلِ أمه، مِحَش٤ حرب لو كان معه رجال٥».

وفي رواية: وتبعه أبو بصير حتى دفع إلى رسول الله ﷺ في أصحابه، وهو عاض على أسفل ثوبه، وقد بدا طرف ذكره، والحصى يطير من تحت قدميه من شدة عدوه، وأبو بصير يتبعه ... الخ٦.

ثم خرج أبو بصير حتى نزل العيص من ناحية ذي المروة على ساحل البحر بطريق قريش الذين كانوا يأخذون إلى الشام، وبلغ المسلمين الذين كانوا حبسوا بمكة قول رسول الله ﷺ لأبي بصير: «ويل أمه محش حرب لو كان معه رجال» فخرجوا إلى أبي بصير بالعيص، فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلا، وكانوا قد ضيقوا على قريش، لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه، ولا تمر بهم عير إلا اقتطعوها، حتى كتبت قريش إلى رسول الله تسأله بأرحامها إلا آوهم فلا حاجة لهم بهم، فآوهم رسول الله ﷺ، فقدموا عليه المدينة ٧ قلت : يا أخي انظر إلى قول رسول الله ﷺ : «ويل أمه محش حرب لو كان معه رجال» تعلم بأنه ﷺ دفعه إليهم سياسة فقط وانظر إلى نتيجة السياسة كيف كانت ناجحة مائة في المائة : حتى كتبت قريش إلى رسول الله تسأله بأرحامها إلا آوهم فلا حاجة لهم بهم، فآوهم رسول الله ﷺ، فقدموا عليه المدينة .

هذا وقد رأيت أن الرسول ﷺ سلم أبا بصير المسلم إلى الكافرين المشركين والحاج مالك دفع ابنه للمستعمرين الكتابيين فأنت ترى هنا أن الدفع الأول أشد فهنا الدافع رسول من رب العالمين والذي سلمه رجل أجنبي أحبه في الله لله واعتنق بدينه بطواعيته وهو له الحرية الكاملة في تصرفاته لبلوغه واستقلاله عن آبائه والمسلم إليهم مشركون عبدة الأصنام الذين ليس لهم كتاب من السماء فالحاج مالك إنما سلم ابنا إلى قوم أهل كتاب ترى لماذا سلم الرسول ﷺ الرجل إلى أولئك؟ إيفاء للعهد والميثاق وفرارا من الخيانة ونشرا للإسلام وهو عين ما فعله الحاج مالك مع المستعمرين هذا وللحديث بقية وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مشاركة من محمد السعيد با
ابن الشيخ أحمد التجاني
ابن أبي بكر مختطفة من كتابه :
مرآة تعكس حياة الرسول
الحاج ملك وارث أبي البتول

صور وتعليقات

هيئة التدريس من البعثة المصرية، لدى استقبالهم من الشيخ عبد العزيز سي الأمين، وأسفل الصورة وفد الأساتذة الجدد، الموفدين من قبل فخامة الرئيس محمد ولد عبد العزيز

مراقبة الحق على دوام الأوقات

من صفات المؤمنين: (مراقبة الله في السر والعلن)

وإن كمال أدب المرء نحو خالقه امتثال أوامره جل شأنه واجتناب نواهيه، ومراقبته في كل عمل من أعماله، في جميع حركاته وسكناته، وتكون المراقبة بأمور تكون باستحضار الإنسان ذاته وهذا في ذهنه وتمثل عظمته تعالى بقلبه وانبعاث الخشية والخشوع من جميع جوارحه،واطمئنان نفسه بالمثول بين يديه وملاحظة أن الله يراه حيثما كان لقوله تعالى: (وهو معكم أينما كنتم) وهذا هو معنى الإحسان، «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» وتكون المراقبة أيضا إذا همت نفس المرء بمعصية، بأن يتذكر أن عليه رقيبا يعلم ما توسوس به نفسه ويخفيه صدره، ويسمع ويبصر دبيب النمل في الليلة الظلماء، فعند ذلك يخشع قلبه وتستكن جوارحه، ويتملك الخوف فؤاده فيجتنب القبيح وينفر منه، ويحجم عن المنكر ويبغضه، وبذالك تتم له السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة.

ومراقبة الله تعالى ثمرة من ثمرات التقوى، وهي جامعة لكل أنواع البر كافلة لصاحبها كل خير مبعدة عنه كل شر ولذلك أكثر الله جل شأنه في القرآن الكريم من الحث عليها مبينا مايترتب عليها من صلاح الدنيا ورفيع الدرجات في الآخرة، من ذالك قوله تعالى: (ياأيها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) سورة الحشر آية 17 ـ 18، فالآية الكريمة ناطقة بثلاثة أمور.

الأول: الحث على التقوى، وهي الخوف من الله بامتثال ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه ودوره الفعال في تسديد خطوات الإنسان وتصحيح مقاصده ونواياه.

ثانيا: الحث على العمل الصالح ومحاسبة الإنسان نفسه قبل أن يحاسب فيما ادخره من الأعمال الصالحة ليوم ميعاده، وعرضه على ربه ومطالبة نفسه بالترفع والبعد عن الإسفاف إلى ما هو قبيح من الأعمال والأفكار في قيامه وقعوده وكلامه وأكله وشربه ونومه وفي جميع حالاته التي تصدر عنه فإذا وجد نفسه مع ذلك قداقترفت ذنبا أو ارتكبت تقصيرا في حق الله تعالى وجب عليها أن يعاقبها.

ثالثا: أن تكون عقوبتها، إما بمنعها عن مشتهياتها، وإما بتوبيخها الشديد أو بلومها اللوم الصارم حتى تحصل له التوبة الصالحة الحقيقية، وما التوبة والندم على ما فات والألم النفسي الذي يحدث، إلا نتيجة لمعرفة المرء ربه حق المعرفة، ومراقبته في السر والعلن لأنه يتنقل من ذلك التأنيب إلى إصلاح نفسه والهيمنة عليها.

وقد ورد ذكره أي (اللب) ستة عشر مرة في القرآن الكريم،لأن اللب هو محل استشعار التقوى، ولنحاول إيراد بعض من الآيات القرآنية، يقول الله تعالى:(وتزودوا فإن خير الزاد التقوى فاتقون يا أولي الألباب) سورة البقرة آية 196 وقوله: (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات للأولي الألباب) سور ة آل عمران آية189، وقوله:(أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب) سورة الرعد آية 18.

وهذا العدد الذي ورد فيه لفظ «اللب» إن دل على شيء فإنما يدل على سمو مكانته وخطورة أمره في التوجيه القرآني للعبد إلى إصلاح نفسه والهيمنة عليها، ويدأب على عمل الخير ونصرة الحق، ويبتعد عن كل ما يستوجب غضب الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

الباحث/ شيخ أحمد تجان سي ابن الحاج مالك مود.

عزيز قومه
عبد العزيز

عزّ في نفس شيخ الخليفة (رض) مجيئ هذا المولود الناشئ، بملامح ذلك الوجه المشرق، وسمات تلك الطفولة الواعدة، فاستبشر به خيرا، وتفاءل برؤيته حسنا، وكان أن اختار له من بين الأسامي أحسنها وأروعها «عبد العزيز»، ولسان حاله يقول: رب كما جعلتني أفتخر تيها وعُجبا بدخولي تحت قولك يا عبادي، فاجعل وليدي هذا مقبولا عندك عبدا، وشرّفه يا عزيز، بقبوله من بين عبيدك الأعزاء، إنه لدينا لعزيز.

ولقد نشأ فتى الفتيان وترعرع، في بيت علم وأدب وخلق رفيع، وكان له من بركة النشأة وأصالة التربية، أن عاش في جنب الوالد الملهم الشيخ الخليفة، يلهم خطواته، ويرشد مشيته، ويوجه مسيرة حياته، وقد تنبأ ـ ونعم المتنبئ ـ أن سيكون لهذا الفتى دور رئيسي في مستقبل الإرث المالكي، فأعده ليكون أهلا وكفؤا لمقتضيات هذا الإرث العظيم.

وكان من أجمل ما عرف عن الشاب عبد العزيز، حسن اهتمامه بمظهره وهندامه، وجمال تأنقه في لبسه وأزيائه، وطريقة تسريحه لشعره، فكان يبدو في عيون ناظريه، شابا وسيما، بهي الطلعة أنيق المنظر، رغم مهابة الشيخ، ووقار السيد اللذين لازماه صغيرا وكبيرا.

وفي وقت كانت مدينة تواوون، مأوى أفئدة المتعطشين للعلم والمعرفة، يتوافد إليها أجناس وقبائل السنغال المختلفة من كل صوب وحدب، ينهلون العلم من ينبوعه العذب ومعينه الصافي، على يد عالمه المتجرد، الشيخ الحاج مالك سي، أو على يد الصفوة من تلامذته، الذين لم يبارهم أحد في ميدان امتلاك قصب السبق في العلم والتأليف والتعليم، إلا سبقوه فيه، قضى الفتى الناشئ طفولته في هذه المدينة.

وعاش الفتى عقده الأول والثاني، في هذه البيئة العلمية والثقافية والمعرفية، يطرب أذنيه دروس مجالسه العلمية، ويرهف سمعه أحاديث والده الوارث لسر جده والمتربع على عرش الخلافة التجانية العامة في السنغال، وكان حسن إصغائه إلى أحاديث تلك اللقاءات العلمية، وإنصاته لخطب والده وتعاليمه وإرشاداته أبلغ الأثر، في قولبة شخصيته، وتكوين علاقاته الواسعة مع شريحة كبيرة من أبناء بلده ومجتمعه، وقد هيأته تلك العلاقات في اكتساب القدرة على التعامل مع كل الوقائع والأحداث التي ستجري لاحقا في مسيرة حياته، وقد عُهِد عنه صغيرا الفصاحة في المنطق، فلم يعهد منه قط، الإغراب في الكلام، أو تعقيد المعاني، أو اللجوء إلى ضعف التركيب، أو تنافر الكلمات، أو التأتأة اللفظية، وقد كان لهذا العامل، أثره الكبير في توليته مهام الناطق الرسمي باسم الحضرة المالكية مستقبلا.

كان ما يتداوله طلاب حوزة جده وآبائه، من موضوعات شتى في العلوم والمعارف الإسلامية والعلوم اللغوية، يصقل لبه، ويعيد تشكيل عقله، وكان تطلعه وتعطشه المبكر للعلم والإطلاع، يدفعان دفعا إلى المشاركة في كل هذه المناقشات، فيدلي فيه برأيه، مناقشا، ومعلقا، وشارحا، ومفسرا، وكانت شجاعته الأدبية، وجرأته الشخصية سمتان بارزتان عرفتا عنه منذ الصبا، وكان له من شرف المعاصرة والمصاحبة والمجالسة، أن عاصر الكثير من خريجي زاوية جدّة الشيخ، من الوافدين من الأصقاع المختلفة لهذه البلاد، فنهل من علومهم، التي نهلوها من جده مود مالك سي، واستقى المعارف والآداب، من أفواه رجال تلقوها مشافهة وتلقينا، من الحبر الهمام ذي المآثر الجليلة، والمحاسن الرائعة، والزوايا الكثيرة.

ولقد كانت لمناسابات إحياء المولد النبوي، التي تتكرر على مدار السنوات، وعلى مدار الشهور، في جل مدن هذه البلاد، ويتولى إحياءها جهابذة الحضرة المالكية من أعمامه وكبار تابعيهم، أثرا كبيرا في صقل مواهبه، وتنمية حسه الانتمائي، وكان الفتى العزيز يشهد كل المناسبات،

ولربما وكل إليه القيام بمهمة من المهامات الأساسية في تسيير أو إدارة هذه المناسبات، فكان يقوم بذلك على أحسن وجه وأكمله.

ولكم كان الفتى العزيز محظوظا في تتلمذه، فقد كان من أساتذته بعض أعمامه وبعض من خالص المريدين الذين انتدبهم والده الكريم، ليتولوا أمر تعليمه وتدريسه، فأظهر من أمارات النبوغ وعلامات الذكاء، ما كان يثلج قلوب شيوخه ومقرئيه، ولقد كان حريا به أن يكون كذلك، فهو الشبل ابن الأسد ابن الهزبر.

وكان من دأب والد الشاب عبد العزيز، أن يوفده أحيانا، ـ شأنه في ذلك شأن باقي إخوته ـ إلى العديد من المناسبات الاجتماعية أو الدينية أو الوطنية، يمثله، أو ينوب عنه في القيام بواجب التهنئة أو تقديم العزاء، أو تمثيل الحضرة ، أو وضع حجر أساس لمسجد شرع في بنائه، أو مدرسة قيد الإنشاء، أو ترأس ليلة مولد تقام في ذلك القطر، أو تلك المدينة في ربوع السنغال الواسعة، وكانت أصداء تمثيله، للحضرة المالكية تترك أثرا كبيرا في نفوس وقلوب من يستمعون إليه، فلمقدرته اللغوية، وطلاقه لسانه، وإحاطته علما ودراية بالمواضع التي يتناولها في هذه المناسبات المختلفة، إضافة إلى تمكنه الفريد في مخاطبة مستمعيه، وإدارته الحكيمة لدفة الخطاب، متنقلا بين القصص الهادفة، والأشعار الحكيمة، والروايات المسلية، والشواهد التاريخية مفعولها في جذب انتباه وإصغاء من يستمعون إليه.

ولو قدر لك أن تستمع إلى عزيز قومه، وهو يلقي محاضرة أو يخطب جموع الناس، لَهَالَكَ من ضمن ما يهولك مقدرته العجيبة في تذكر الأشخاص والتواريخ، ولدهشت وأنت تسمعه يردد لك التفاصيل الدقيقة في الأحداث الوطنية أو الدينية الغابرة في القدم، فكم يحلو الجلوس بين يدي العزيز عبد العزيز للاستماع إليه وهو يسرد التاريخ لك سردا.

وكان الفتى العزيز، في تمثيله للحضرة المالكية، أولغيرها من الهياكل التنظيمية التي انخرط فيها، قائدا لها، أو عضوا فيها، يزاوج بين حنكته السياسية، وخبرته بالأمور الإدارية والإجراءات الخاصة بالسلطة، وبين مقدرته على قراءة الأحداث الاجتماعية والسياسية، إضافة إلى رباطة جأشه، وقوة عزيمته، وصلابة إرادته، ليكون خيرا سفير لمن أوفدوه وأختاروه ناطقا باسمهم، وما أكثرهم!!

وقد عايش عزيز قومه، كل الأحداث الاجتماعية والدينية والعلمية لجيل زمانه، فتأثر به وأثر فيه، وكانت له مواقفه التاريخية والبطولية في صنع الأحداث، وتوجيه مسارها، فلم يعرف منه ـ قط ـ القبول بالأمر الواقع، ولم يرضخ أبدا لوضع مفروض عليه، وإزاء الأحداث السياسية والوطنية التي شهدتها مدينة تواوون، إبان فترة الاستقلال وما تلاها من أحداث جسام، وتغييرات جذرية، تولد لديه نضج سياسي مبكر، ووعي وطني يقظ بالقضايا الوطنية، وبخاصة منها تلك المتعلقة بشريحة الأسر الدينية.

وإبان تأسيس اتحاد الجمعيات الإسلامية في السنغال في فترة السبعينات، وقف الشاب عبد العزيز طودا شامخا، وجبلا راسخا، مدافعا ومناضلا عن كل القضايا والمسائل التي تخص هذه الجمعيات، فأكسبته مواقفه تلك ثقة نظرائه، وموافقة الجمعيات الإسلامية الأخرى على أن يستند إليه رئاسة هذا الاتحاد، فكانت له مع الاتحاد مواقف محمودة تذكر فيشكر عليه.

وتشاء الأقدار، أن يصبح الفتى كهلا، ثم شيخا، وتتحول التسمية التي كانت تطلق عليه تحننا وتحببا « عبد العزيز الصغير» إلى « عبد العزيز الأمين»، فقد أصبح يشكل وجوده عاملا جوهريا في إدارة وتسيير أمور الحضرة المالكية، وإذا بأشقائه وبني أعمامه، الأكبر منه سنا أو من دونه في العمر، لا يبتون في أمر ، ولا يحسمون في شأن، إلا بعد أخذ مشورته، وإلا بعد استخارته، فانطبق الاسم على المسمى، وأصبح العزيز أمينا.

وعلاقته بإخوته، وبالأخص مع العميدين اللذين يكونان معه ـ في الوقت الحالي ـ الأسرة المالكية التواوونية، ممثلة في الشيخ أبي بكر المنصور، والشيخ مود مالك عبد العزيز، أصبح ما تكون بتلاحم الجسد الواحد، يذود عن حياضهم، ويتبنى قضاياهم، ويحمل همومهم، وحرى به أن يكون كذلك معهم، فكلهم يرونه في تصورهم ملجأ حصينا، وركنا شديدا، وأخا أمينا، يؤتمن جنابه في المحن والشدائد.

وسياسيته في لمّ شمل العائلة، وتوحيد كلمتها، أعظم به من سياسة، فإذا ما جدّ في ساحتها جديد، أو طرأ طارئ، هب عزيز قومه، يستجمع كلمتهم، ويشرك قاصيهم ناهيك عن دانيهم، فإذا بالأمر الذي بدا عصيا على الحل، صعبا على المعالجة، يصبح هينا سهلا.

ولا تسأل عن أيامه، فكل حياته سعي إلى مجد أصيل، وكل ارتحاله من أجل كسب الخير للحضرة المالكية، وقد فاض خيراته حتى عم غير أهل حضرته،

أكرم بأحمد في نظام المولد

السيد الشيخ أحمد التجاني سي المكتوم
عميد الأسرة المالكية بتواوون ـ سنغال

أكرم بأحمدَ في نظـام المولـد ... أكرم بمولد أحمد من مولد
قل للسؤول فبدعـةٌ مرضيَّـةٌ ... أعظمها من بدعةٍ لم تجحدَ
كثرتْ أساطير الضلالة في الورى ... والدينُ معهودٌ بما لم يُحمدَ
والحقُّ عاريـةٌ بأيدي ظالـم ... والخيرُ شرٌّ وديعةٌ للمعتدي
والعلمُ أضحى للهوى كمسانهٍ ... والعدلُ عدلٌ تحت أمرِ الحسَّدَ
والمـالُ صُرِّفَ في العناد وإنَّمَا ... حظ الأمير الفردِ حظَّ المُفسدَ
لكنَّ مولدَ أحمدٍ من شأنـه ... ردُّ المخاوفِ كلها عن مَوْرِد
فالرُّوحُ تَبتَهِجُ ابتهاجاً باهراً ... والنفسُ تَنْتَعِشُ انتعاشَ مُخلَّدَ
والنورُ فيه مُقسَّمٌ بجميعـه ... واليُمنُ بَعْدُ مُيسَّرٌ للمُجْتَدَ
والرُّشدُ يَرجِع للقلوب مُجَدَّداً ... والرُّشدُ خيرُ وسيلة لَمُجدِّدَ
لا خيرَ إلاَّ في مَدائحِ مادِحٍ ... بالخلقِ والخُلقِ الكريمِ مُرَدِّدَ
امَّا بكامله البسيطِ مُوَفِّرًا ... امَّا بفَضْلِ طَويله لِلمُنْشِدَ
أَمَّا بتزويدِ الوُفودِ بخيره ... أما بإكرامِ الضُيوفِ الوُفَّدَ
أَمَّا بتعظيمِ الحقائقِ كلِّهَا ... في ذِكْرِه إمَّا بحبِّ محمَّدَ
صلَّى عليه اللهُ في كلِّ مَلكوته ... أوْ مُلْكِهِ سَلَفًا لِيوم المَشْهَدَ
هذا جزاء المسلمين لكونهم ... يُدْعَوْن أمّةَ خيرِ هادٍ مُرْشِدَ
هذا هو القرآنُ يَنْطِقُ بالذي ... يُعْيي بنورِ هُداهُ كلَّ مُجَلِّدَ
هَذي صَحائفُهُ عليهم أُنْزِلَتْ ... من ربِّهم تَسْري بروحِ التَّعَبُّدَ
هّذي مَصالِحُهُمْ وكلُّ مَصالِحٍ ... في الدينِ والدنيا بشِرْعَةِ مُهْتدي
فالرُّوحُ والخُلُقُ المُطهَّرُ بَعدَهَا ... والمادَّةُ السُّفلى الَّتي لم تُبْعَدِ
فهنا حضارتُه عليهم نُظِمَتْ ... وهنا سياستُه على المتقيِّدَ
فبها تُحاسَبُ كلُّ نفسٍ أسْلمتْ ... وبها يُؤيَّدُ عَهدَ كلِّ موحِّدَ
ملَ للتَّعَسُّفِ فيهما مَن منهجٍ ... إنَّ التَّعَسُّفَ شرُّ ما لتملحدَ
فكُلوا ولا تَطْغوا وقوموا واعملوا ... بتفهُّمٍ بل فاعبُدوا لتزوَّدَ
إلاَّ فموتوا بالفضيحة وادخلوا ... نارَ الهوانِ بكفِّ مُورٍ مُوقِدَ
هذا صراطي مستقيماً إنَّه ... يَهدِي لأقومَ باسمِ ربٍّ مُسْعِدَ
فبأفصحِ الفُصحاءِ يومَ حوارِهِمْ ... وبأنسكِ النُّسَّاكِ ليلَ التَّهجُّدَ
وبخيرِ مَن سَلَّ سيفاً في الوَغى ... رَدًّا لطُغيانِ الكفورِ الأصْيَدَ
وبمن يَراه الأنبياءُ حكيمَهم ... والرُّسْلُ سيِّدَهم وأنْقَى السيِّدَ
وبمَن أتى بالعلمِ معجزةً له ... علما بأنَّ العصرَ عصرُ تَفقُّدَ
وبهاشميِّ الأصلِ قبلَ مَقامه ... خيرِ الأميرِ أميرهم والأجْوَدَ
أرجو قضاءَ حوائجي وحوائجَ الـ ... إخوانِ في ذا اليومِ في ذاك الغدَ
باليُسْرِ لا بالعُسْرِ وعداً صادقاً ... من ربِّه للمؤمنين الرُّوَّدَ
والرحمتين لوالدينا كلهم ... والعفوَ والغُفْرانَ يومَ المَوْعِدَ

لله درّهم في البرّ والكرم!

إلى سماحة الشيخ / عبد العزيز سي الأمين ، المتحدِّث الرسميّ باسم الأسرة المالكيّة التجّانيّة بمدينة تواوون المحروسة من السنغال الشقيقة .

من السيِّد / محمود محمد أحمد سيِّد ، مبعوث مصر والأزهر الشريف لتعليم اللغة العربيّة بمعهد الشيخ الحاجّ مالك سي رضي الله عنه .

للعلْـم والفَضْـلِ أهـلٌ لا يُطاولُهـم ... شُمُّ الـكواكبِ مِنْ شمسٍ ومِن قمـرِ

أَئِمَّة لَا يُـدارَى فضْلُـهـمْ أبـــدا ... فـي العالـمينَ هداهمْ غيرُ مُنْحَصرِ

الصدقُ ما نطقوا والفضلِ ما بذلوا ... والعـلمُ ما علـموا من كنز مُدَّخَـرِ

إنْ شدَّ بالنَّاسِ خَطْـبٌ أَوْ أَلـمَّ بهـمْ ... كانوا أَحَنَّ مِـنَ الآباءِ بالـبَشَـــرِ

أو الشَّريـعةَ عـادَى جاهِـلٌ وعَـدَى ... فـهمْ أسـودُ الـفلاَ بأساً بلا هَـــزَرِ

النَّاسُ تعشَقُهُمْ من حسنِ مَنْطقِهـمْ ... حتَّى الـجوامدُ مِنْ صَخْرومِنْ حَجَـرِ

في حِلْمِهمْ لنْ تَرَى حيًّا يُفاخِرُهُـم ... ولنْ تَرَى مثلَهمْ في الحسنِ والصُّـوَرِ

لله دَرُّهُـمُ في الـبرِّ والـــكَـرَمِ ... أَكْرِمْ بِهِـمْ مِـنْ شُمُـوسٍ سادةٍ غُـرَرِ

قَدْ قَيَّـضَ اللهُ لِلإسـلام هِمَّـتَهُـمْ ... فَـلاَ يُـبالـونَ ذا شَـرٍّ ولا ضَـــرَرِ

عبدُ العـزيزِ إمـامٌ مِـنْ أَئِمَّـتِهـمْ ... والـجدُّ مـنْ قبلُ غوثُ البدو والحَضَرِ

عبدُ العـزيزِ أَمـينٌ سي ومالِكُهُـمْ ... الحُجَّةُ الحَـبـرُ أَهْـلُ العلـم والنَّظَـرِ

في كلِّ عـلم له باعٌ سحـائِبُـه ... غَيْـثٌ مِـنَ الله فانْهَلْ دونَـمَا حَـــذَرِ

فاسمعْ إليهمْ وسارِعْ نحوَ ساحتهمْ ... تظـفَرْ بعَـيْشٍ كـريـمٍ أَيَّـما ظَـفَرِ

وذُبْ هـوىً وتزوَّدْ مِنْ مَحبَّـتِهـمْ ... فـحُبُّهُمْ طـاعَةٌ كالذِّكرِ في السَّحَـــرِ

إنْ تَبْتَغِ الكشفَ أَكْثِرْمِنْ مَجالسِهمْ ... وكُنْ على أدبٍ واغْضُضْ مِنَ البَصـرِ

والـزَمْ مريـدَهُـمُ حُبًّا طَرِيقَـهُمُ ... تَفُـزْ بِسِـرِّهِم كأْسٍ بـــلا كَـــدَرِ

كأسُ الْحـقيقةِ لا يُعْطُونَهُ أَحَـداً ... إلاَّ متيَّـمَهُمْ يسـعى بـــلا عَـــثَرِ

إنِّي أَتُـوقُ لـهُمْ في كلِّ شـارِقَةٍ ... وفي ضُحايَ وفي لَيْـلي وفي سَهَـرِي

ولي دمـوعٌ مِنَ الأشْواقِ هاطِلَةٌ ... تَكـادُ مِـنْ حرِّهـا تَنْـسابُ بالبَـصَرِ

ما أعلى هِمَّتَهُمْ ما أَسْمَى بُغْيَتَهُـم ... ما أَحْـلَى جِلْسَتَـهُمْ بالبِشْـرِ والـدُّرَرِ

أَحِبَّتِي إنَّكُـمْ قَلْـبي ومَمْلَـكَتِي ... طَوْقُ النَّـجاةِ لَنا فـي كلِّ مُنْـحَدَرِ

ثـمَّ الصَّلاةُ على المختارِ شافِعِـنا ... عدَّ الحصى والنَّدى والرَّملِ والشَّجَـرِ

تمت بحمد الله تعالى في يوم الخميس السادس والعشرين
من شهر رمضان المعظم من العام ١٤٣٤هـ الموافق ٤٢ / ٧٠ / ٤١٠٢م

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

أصحاب الفضيلة،
حضرات السيدات والسادة،

يطيب لنا في البداية أن نعرب عن ابتهاجنا واعتزازنا بالتئام هذا الاجتماع المبارك، الذي ينعقد للمرة الثالثة لأتباع الطريقة التيجانية من شتى بلدان العالم، وذلك على أرض المملكة المغربية التي تحتضن عاصمتها الروحية مدينة فاس ضريح العارف بالله سيدي أحمد التيجاني المؤسس لهذه الطريقة.

وكما تعلمون فإن اختيار الولي الصالح سيدي أحمد التيجاني لهذه المدينة دارا لإقامته، ومقرا رئيسيا لزاويته ومركز إشعاع لطريقته، لم يكن امتباطا ولا مصادفة. وإنما كان اختيارا منه لما كان يعرفه - رضي الله عنه - عن المغرب من تمسك بالإسلام، وحرص على اتباع سنة نبيه الخاتم جدنا المصطفى عليه الصلاة والسلام. وأيضا لما اشتهر به ملوك المغرب الميامين من أسلافنا المنعمين من عناية فائقة بالعلماء، وأقطاب الصوفية، فضلا عما كانت تتميز به المملكة المغربية على امتداد تاريخها من البيعة لإمارة المؤمنين، التي كفلت سندا للإسلام السني الوسطي في مملكتنا السعيدة، ولهذا للشعب المغربي يجد فيها مرفأ للأمن والأمان والوحدة والالتئام.

وبذلك ظل المغرب، الحصن الحصين للإسلام، في الشمال الغربي لإفريقيا. والمنارة التي انطلقت منها أنوار الهداية إليه،

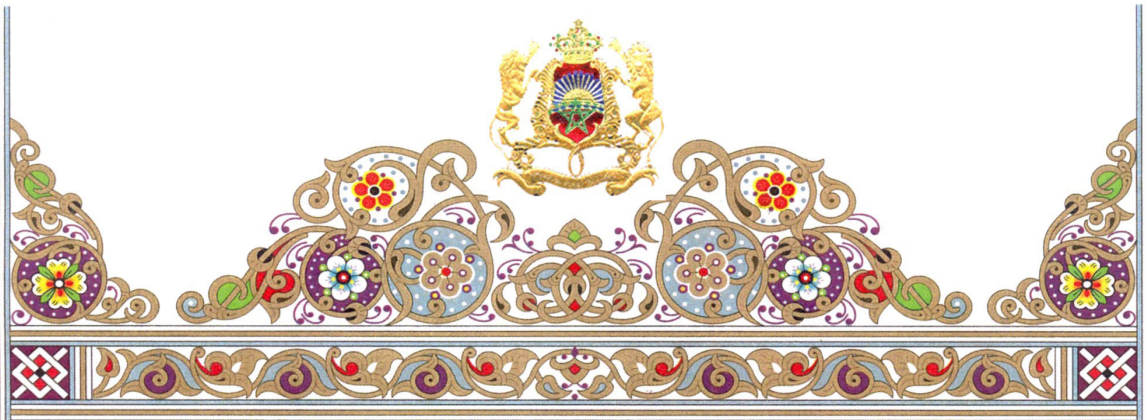

إلى كافة ربوع البلدان الإفريقية جنوبي الصحراء، بتوجيه ملوكه العظام. وعلمائه العدالة الأعلام، وصوفيته العارفين، الجامعين بين الشريعة والطريقة والحقيقة.

ولما كانت الطريقة التيجانية التي أسسها الولي الصالح والقطب الشامخ سيدي أحمد التيجاني في القرن الثاني عشر الهجري قد قامت على تقوى من الله ورضوان، وبنت صرحها العتيد على الجمع بين علم الظاهر وعلم الباطن، ومجاهدة النفس، والمواظبة على الذكر، وتشبث مريديها بالسنة المحمدية الغراء، في التزام بوحدة الجماعة، ونشر المحبة والوئام بين أفراد الأمة، فقد لقيت من ملوك الدولة العلوية، من أسلافنا المنعمين، كامل الرعاية وموصول العناية، وكان في مقدمتهم السلطان المولى سليمان الذي تلقى الشيخ سيدي أحمد التيجاني بالترحيب والتوقير، وأحاطه بموصول العناية والتبجيل، حينما وفد على هذه الحاضرة التي وجد في علمائها ومريديها التجاوب الروحي المنشود.

ولا يخفى ما كان للطريقة التيجانية بالربوع الإفريقية جنوبي الصحراء والساحل الغربي، وعلى امتداد الآفاق مشرقا ومغربا، من دور كبير من نشر الإسلام وتصحيح عقيدته، والدعوة إلى مكارم أخلاقه، وما كان لأتباعها من حرص صادق على انتشال الآلاف المؤلفة من الأفارقة من أضاليل الوثنية والشرك بالله، ومقاومة الاستعمار، فقد قامت هذه الطريقة برسالتها المضيئة وتربيتها القويمة في جعل الإسلام منهجا للاستقامة والصلاح، والمحبة والإخاء بين سائر أبنائها في كل البلدان التي أوسعت صدرها لهذه الطريقة بين أهلها. وقد حظي المغرب بقيادة أسلافنا الميامين وفيا لتقاليد الطريقة في رعاية التصوف وأهله، وإحاطة مشايخه وزواياه بالتوقير والتعظيم كلما التزموا بمنهاج السنة المحمدية، وبوحدة الأمة والجماعة بقيادة إمارة المؤمنين، الساهرة على صيانة الوحدة المذهبية للأمة، والوحدة الوطنية والترابية لحوزتها، ونشر قيم الوسطية والاعتدال والتسامح والتعايش، وترسيخ أواصر الأخوة بين الأفارقة، تلكم الأخوة التي هي الأساس المكين والركن الركين لبناء صروح التعاون في كل مجالات التنمية البشرية بإفريقيا.

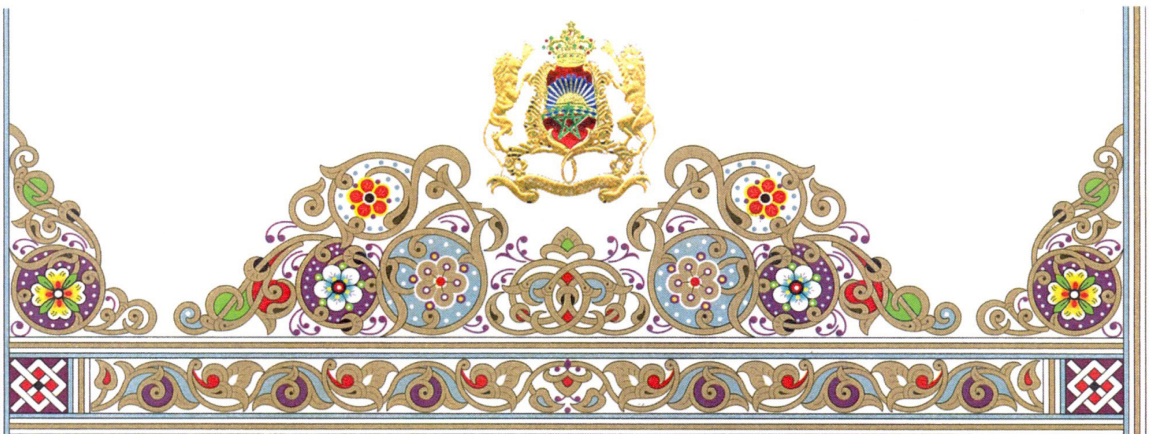

ومن هذا المنطلق الوجيه، ما فتئنا بوصفنا أميرًا للمؤمنين ملتزمين بالسهر على الفضاء الديني، وترسيخ قيم الإسلام السمحة في الوسطية والاعتدال، ونبذ التطرف الأعمى، والتسييس المغرض للدين، وهو المنهج الذي نرسخه في مملكتنا، ونتعاون في تفعيله مع أشقائنا الرؤساء الأفارقة، حريصين على التعاون البناء مع كافة الدول الإسلامية الشقيقة على بناء الوحدة والتكامل فيما بيننا، ونبذ الخلاف والتفرقة، ودعم حسن الجوار مع أشقائنا المغاربيين.

حضرات السيدات والسادة،

في سياق هذه السياسة الرشيدة، التي ننهجها بإيمان راسخ، ومنظور وحدوي ملتزم، واستراتيجية تنموية مهيكلة قائمة على تفعيل دور التصوف في إشاعة الأمن الروحي، ونشر قيم المحبة والوئام، وتطهير النفوس من جذور التعصب والحقد والكراهية، يلتئم هذا الجمع المبارك للطريقة التيجانية لتدارس شؤونها، والقضايا المتعلقة بزواياها وتفعيل التنسيق بين أجهزتها، من لدن مشايخها، وكذا التبادل الرأي في رسم خطط العمل للنهوض بالتربية الروحية بما يلائم المستجدات. وهو الأمر الذي يدل على وعيكم العميق بضرورة نهوض الطريقة التيجانية برسالتها، في هذه الظرفية التاريخية، بالنسبة للمجتمعات الإسلامية، التي هي أحوج ما تكون إلى مساهمة كل العاملين من علماء وفقهاء وصوفية لرفع تحدي التطرف الأعمى ونزوعات الانفصال والانقسام.

فهذا المطلب الملح، لا يمكن أن يتحقق إلا بالتعبئة الجماعية لكافة الدعاة إلى الإسلام الوسطي، ومنهجه السني في ديار الإسلام. لسد الطريق أمام دعاة التطرف والإرهاب والتجزئة والانقسام، والمذاهب الضالة. ولا شك في أن الزوايا التيجانية بكافة أتباعها مدعوة إلى تفعيل منهجها القويم، على ما هو معهود في أتباعها من التزام بالسنة المحمدية، في نشر المحبة والإخاء بين أتباعها، والترقية السلوكية للمنتسبين إليها، والتضامن الفعلي في جمع الكلمة وتوحيد الصف والسمو عن نزوعات التفرقة والاختلاف.

ومن هنا يتجاوب اجتماعكم اليوم - حضرات السادلة الأفاضل - على أرض المملكة المغربية، مع اهتمامنا الخاص بالتصوف، وبتفعيل منهجه التربوي، الذي يستهدف إصلاح شخصية المسلم، حيث ستجدون، وبأمر من جلالتنا لوزيرنا في الأوقاف والشؤون الإسلامية، ما يحيطكم به من رعاية مولوية سامية ورعاية دائمة، وتوفير ظروف الحوار الملائمة لتبادل الرأي والتناصح والتفاهم، فيما يحقق تطلعنا إلى قيامكم بالدور التربوي والروحي المنوط بكم. تجسيدا بل تجديدا للدور الذي قامت به الطرق الصوفية، ومن بينها التيجانية، في سالف العهود من الجمع بين الشريعة والطريقة، في توازن وانضباط، والعمل على تأليف القلوب، وجمع كلمة فئات الأمة الإسلامية على كلمة سواء، ولا سيما بمنطقة المغرب العربي، على درب الوحدة والتلاحم والوئام.

حضرات السيدات والسادة،

إنطلاقا مما قلدنا الله إياه، من أمانة عظمى متمثلة في إمارة المؤمنين، لم نفتأ نرعى الطرق الصوفية القائمة على تخليق المنتسبين إليها في ضوء السنة النبوية الغراء. والعدي العمدي الوضاء. داخل المغرب وخارجه، ولا سيما بالبلدان الإفريقية الشقيقة التي نعمل على ترسيخ الروابط الأخوية بين شعوبها، والتعاون الوثيق مع قيادتها الحكيمة. لا نتوخى من ذلك سوى شد أزرها في تحقيق نهضتها وتنمية طاقاتها، ونشر قيم التسامح والتعايش والوئام والالتحام بين فئاتها. اعتقادا منا بجدوى تفعيل الطاقات الروحية والمنهج الرباني في بناء شخصيتها.

ومما لا شك فيه أن للطريقة التيجانية رصيدا تاريخيا لا يستهان به في هذا المجال التربوي الحكيم لتزكية النفوس، ومقاومة نزوعات المادية الجارفة التي وجدت في اهتزاز القيم وشيوع التشكيك في الدين من منطلق الصورة المضللة التي أشاعها المتطرفون، ما يؤكد ضرورة إحياء منهج التصوف بكل طرائقه ومشاربه، لمداواة النفوس، وكبح جماحها، واسترجاع التوازن بين المادة والروح في ضوء الوسطية الإسلامية السمحة.

وفي الختام فإننا نتوله بما يجمع التينجانيين قاطبة، منذ تأسيس طريقتهم إلى اليوم، من مشاعر التعلق والوفاء لملك المغرب، بوصفه أميرا للمؤمنين وسبطا للنبي الأمين. مبادلين إياهم نفس الوفاء، مسبغين عليهم موصول الرعاية أينما كانوا، داعين إياهم أن يحافظوا على اتخاذ المغرب قبلة لهم في الورد والصدر، أسوة بمؤسس الطريقة - رضي الله عنه -، في اتخاذ هذا البلد الأمين مقاما، ونعم المستقر. كما نطلب منكم أصحاب الفضيلة، أن تخصوا جلالتنا بنصيب من أدعيتكم المستجابة، كلما حفت بمجالس ذكركم ووظائفكم نفحات التجلي وأوقات الإجابة.

وإننا إذ نرحب بكم حضرات السيدات والسادة ضيوفا مكرمين بمدينة فاس، مدينة الأدارسة وملتقى الثقافات والحضارات، فإننا نجدد لكم موصول رعايتنا. وسابغ عطفنا، وفقكم الله وسدد خطاكم على المحجة المحمدية الغراء، على صاحبها أزكى الصلاة والسلام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وحرر بالقصر الملكي بالرباط في يوم الإثنين 12 ربيع 1435 موافق 12 ماي 2014م.

محمد السادس
ملك المغرب